الفصل الثاني

الإطار النظري

أ. المبحث الأول: نظرة عابرة حول مفهوم القصيدة والقيم الصوفية

١. مفهوم القصيدة والشعر والأناشيد

أولا: القصيدة

هي مجموعة أبيات من بحر واحد مستوية في الحرف الأخير بالفصحى. وفي عدد التفعيلات، أي الأجزاء التي يتكون منها البيت الشعري. وأقلّها ستة أبيات وقيل سبعة وما دون ذلك يسمّى (قطع). وأن عباسا يرى أن القصيدة تتضمن لونا من ألوان الوحدة، وقد عبرت هذه الوحدة عن نفسها على صعيدين؛ وهما التناسب بين الموضوعات في القصيدة الواحدة، والوحدة المعنوية التي تنتظم أبيات القصيدة.[١]

كما لو كان الحياة البشرية تجري بشؤون جماعتها جريا هاما سارت القصيدة في تطورها مع تحديد المنظورات المحتملة من المتخصصين بالقصائد، فالننظر إلى تعاريفها المختلفة بين القديم والحديث وإلى تصنيفاتها الرائعة التي أوسع ميدانها، منهم من أشار إلى تصنيفات القصائد حسب القبيلة، وحسب المذاهب، وكذلك حسب المناهج العلمية الذين يغوصون فيها مثل القصائد حسب القوافي؛ القصيدة المهملة، القصيدة المضموم، القصيدة المثلوثة أو المثولثة، القصيدة المربوعة أو الشعر المروبع، القصيدة المنسوبة، القصيدة الألفية، و القصيدة المبنية .

[١] أميره عيضه حسين الحارثي، *بنية القصيدة عند ابن قتيبة*، (جامعة الطائف: ٢٠١٢م)، ص ٣.

بل القصيدة في أنواع معظمها وهي القصيدة العمودية، وقصيد التفعيلة، وقصيدة النثر.

أ) القصيدة العمودية: تعتمد نظام البيت الشعري المؤلف من صدر وعجز وقافية وروي، موزونة ومؤلفة من تفعيلات محددة والتي تكون البحور الخليلية.

ب) قصيد التفعيلة: طريقة استخدام جديدة للبحور الخليلية، لا تخرج عن التفاعيل العشرة، أو نقولها قصيدة موزونة، ولكن لا يُشترط التزامها القافية (مُرسل).

ج) قصيدة النثر: كان أدبي يُمكن أن نطلق عليه شعرا منثوراً أو حرا، لا تتقيد بوزن أوقافية، ولكنَّها تعتمد إيقاعا داخليا وصورا شعرية مكثفة ومُبتكرة، نص سردي في الغالب، ويتكون من جمل قصيرة تُكون فقرة أو فقرتين، وتبتعد عن المحسنَّات البديعية.

يجب توافر الشروط التالية في أي قصيدة حتى يمكن إطلاق اسم قصيدة عليها، وهي الوزن ولقافية والفكرة أو المعنى والمضمون أو الأسلوب الذي يتكوَّن من الأسلوب اللفظي الأسلوب المعنوي الأسلوب الجمالي.[٢]

وعلى هذا، تمتاز القصيدة امتيازا خاصا يؤدي إلى كشف بنيتها العجيبة، تشتمل على مجال المضامين، واللغة، والصورة الشعرية، والإيقاع. [٣] والمراد بالمضمون بأن الشعر الصحيح والصادق هو الذي ينبع من وجدان الشاعر ويحمل انفعالاته وعواطفه، وعندما نستمع إليه يتحرك له وجداننا وانفعالاتنا.

أما اللغة أن الشاعر يختار ألفاظ لغته بعناية فائقة ويضعها في عبارة منغومة ويحملها الصور الفنية التي يبدعها خياله، والشاعر يقوم باستخدام اللغة نظرا للأهداف المختارة، والصورة الشعرية هي طريقة التعبير عن الأفكار والقضايا

---

[٢] محمد صالح علي، مواصفات القصيدة، http://kenanaonline.com/posts/7101، ٦/١١/ ٢٠١٣.

[٣] بغداد، *خصائص القصيدة العربية حسب التيارات الشعرية*، http://kadi-/t42-topic 3ayad.forumeducatif.com، ٥/١١/٢٠١٣

والمشاعر، وهو مرتبط بطريقة التفكير وبالموضوع الذي نعالجه، فالإيقاع العبارة في الشعر لها نغم منظم وطعم خاص يميزها عن عبارة النثر العادية.

أولا: إحياء النموذج: وهي في المضامين؛ تناول القصيدة مواضيع قديمة كالفخر والمدح والرثاء والوصف، وتعدد الأغراض في بعض الأحيان في القصيدة الواحدة، وأن وظيفة الشعر وظيفة تعليمية و أخلاقية كي نجد كثرة الوعظ والإرشاد، والتعبير عن بعض القضايا المعاصرة مثل التحرر من الاستعمار، ووصف بعض الآلات، وتعليم المرأة، والتقليد والمحاكاة لفحول الشعراء في العصر الجاهلي والعباسي والأموي، ومعارضة الشعراء القدامى.

أما إحياء النموذج في مجالها للغة وهي تتسم اللغة بالقوة والجزالة، ووجود ألفاظ غريبة، ومعجم تراثي يتسم بالغرابة أحيانا، والتنوع: الفخر، الغزل، المدح، والغير. كذلك في صورة الشعرية وهي تقوم الصورة الشعرية في القصيدة التقليدية على العناصر البلاغية التقليدية مثل التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، كتشبيه الشجاع بالأسد، أو المرأة بالريم، وتقوم عادة على علاقة المشابهة أو المجاورة، وتؤدي عادة وظيفة تزيينية، بالإضافة إلى التوضيح والبيان.

فبالنسبة إلى الإيقاع يمكن أن يحددها بأن تقوم القصيدة الإحيائية على أحد البحور الخليلية مثل: الطويل البسيط، الوافر، الكامل، الرجز، الخفيف، وتتميز بوحدة الوزن والقافية، ونظام الشطرين المتناظرين، و استقلال كل بيت بمعناه، ومن ثم كان التضمين عيبا من عيوب القافية.

ثانيا: سؤال الذات: وهي في المضامين؛ اعتبار الذات هي مصدر الإبداع، ومن ثم كان التعبير عن هذه الذات والإعلاء من شأنها، والهروب من الحضارة ومن مجتمع الناس نحو الغاب والطبيعة، والتركيز على عاطفة الحب، واستفاضة معاني اليأس والقلق والحزن في الشعر الرومانسي، وتوفر القصيدة على

الوحدة الموضوعية، والتركيز على موضوع واحد يتصل بالهموم الفردية كالحب والتشاؤم والتفاؤل والهروب إلى الطبيعة.

وفي مجال اللغة كانت القصيدة تتسم بالسهولة والليونة، وهي لغة إيحائية تقوم على خرق المألوف، ومعجم مرتبط بوجدان الشاعر، يتناول مواضيع مثل: الحب، القلق، اليأس، التبرم، الطبيعة، التفاؤل، الخير، الشر. ثم القصيدة في امتيازها للصورة الشعرية وهي تقوم في الغالب على التشبيه والاستعارة لكنها توظف الرموز اللغوية، كما تقوم على الخيال والتشخيص من خلال إضفاء صفات إنسانية على عناصر الطبيعة، وتؤدي وظيفة إيحائية ووجدانية أو انفعالية. وفي حسبها الإيقاع كانت القصيدة من جهة كان الخضوع لخصائص القصيدة التقليدية، ومن جهة ثانية تم إحداث نوع من التجديد من خلال التنويع في القوافي والروي، وكذا اعتماد نظام الموشحات كما هو الأمر عند عبد الكريم بن ثابت، ثم تقوية الإيقاع الداخلي .

ثالثا: تكسير البنية وتجديد الرؤيا: أما في المضامين إنها تعبير عن بعض القضايا الاجتماعية والقومية والوطنية، انتقاد الفساد والظلم، الاجتماعي والسياسي، والتوجه نحو إصلاحه، واستغلال بعض التجارب الشخصية للتعبير عن مواقف من الحياة والكون والمجتمع رغبة في التغيير، واتخاذ شعر تجديد الرؤيا موقفا استشرافيا مستقبليا في شكل حلم وانتظار، أو تشاؤم وانكسار.وجود الوحدة العضوية .

ثم في ناحيتها للغة إن القصيدة لغة سهلة وبسيطة، قد تقترب من لغة الحديث المألوف، لكنها تحمل إيحاءات، وترتبط بمعاني الحياة والموت، والبعث، والغربة والضياع، واليأس والأمل، وتوظيف شعر الرؤيا للرموز والأساطير التي ترتبط بالمعاني المذكورة.

وفي الصورة الشعرية: بالإضافة إلى العناصر البلاغية السابقة ، تقوم الصورة الشعرية في القصيد الحديثة على الانزياح، من خلال خلق منافرات بين أطراف الصورة، بحيث أن العلاقة بين أطراف الصورة بعيدة لا تتضح إلا بالتأويل، وكما تتشكل الصورة أيضا من خلال توظيف الرموز والأساطير.

وفي إيقاعها إن القصيدة هي الثورة على مقومات القصيدة التقليدية من خلال اعتماد نظام الأسطر الشعرية المتفاوتة الطول والقصر حسب الدفقة الشعورية، والمقاطع الشعرية، والجملة الشعرية التنويع في الروي والقافية المزج بين البحور، والتركيز على البحور الصافية، وتقوية الإيقاع الداخلي.

ثانيا: الشعر

قبل أن ندخل في صلب الموضوع أولا لابد من أن نعرف عن ماهية الشعر ممكن للباحثة أن توضح كلمة " الشعر" بمفهومه اللفظي، وهو من شعر يشعر شعرا، شعر ب– أحس به أو أدركه بإحدي حواسه الظاهرة أو الباطنة– شعر بالبرد وشعر بالتعب والإجهاد.[٤]

أراد ابن رشيق أن يعرف الشعر ويذكر عناصره، فقال في باب حد الشعر بعد النية أنه مكون من أربعة أشياء، وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية، فهذا هو حد الشعر لأن من الكلام كلاما موزونا مقفى، وليس بشعر لعدم الصنعة والنية كأشياء أنزلت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر.[٥] وقال قدامة بن جعفر في تعريف الشعر، على أنه قول موزون مقفى يدل على معنى، والأسباب المفردات التي يحيط بها حد الشعر وهي اللفظ والمعنى والوزن والتقفية.[٦]

---

[٤] أحمد مختار عمر، *معجم اللغة العربية المعاصر*، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ص ١٢٠٥.

[٥] ابن رشيق، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، (بيروة: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م)، ص ٧٧.

[٦] أبو الفرج قدامة بن جعفر، *نقد الشعر؛ تحقيق كمال مصطفى*، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، 1978م)، ص ١٧.

بل تأسس السجلماسي أن تعريف الشعر عند السجلماسي على ثلاثة أسس وهي:[٧]

أ) الأساس الشكلي لما يحويه الشعر من وزن وقافية.

ب) الأساس الإبداعي وذلك لتأكيده على عنصر الاستفزاز الذي يرتبط بما في الشعر من كذب يؤدي إلى الإغراب.

ج) الأساس التأثيري: وذلك بفعل التخييل والمحاكاة اللذين يتركان في المتلقي أثرا يتمثل في الاستفزاز و الإلذاذ.

إن الشعر عند السجلماسي قول جميل يحقق إيقاعا ، ويجسد تخييلا، ويستحسن فيه الإختراع والكذب لتحقق عظمة التخييل والمحاكاة ، ويقصد منه التأثير أي بإحداث الاستفزاز الذي يليه الالذاذ. وقد جمع السجلماسي تحت التخييل أربعة أنواع بلاغية هي التشبيه، الاستعارة المماثلة ، والمجاز.

فبهذا، كان لنا أن نلاحظ قصور التعريف وسماحة للنظم العلمي أن يحتل دائرة الشعر إذ هي اللفظ والمعنى والوزن والقافية.

جرى النقاد والمؤرخون على تقسيم الشعر أقساما رئيسية ثلاثية: قصصي وغنائي وتمثيلي. فالقصص شعر موضوعي، والغناء شعر ذاتي، والتمثيل شعر موضوعي في طريقة ذاتية، وقد عورض هذا التقسيم بذكر أنواع لاتدخل أحد فروعه حتى قسمه بعضهم أقساما خمسة مضيفا إلى هذه الثلاثة الشعر التعليمي الذي يمجد الفضائل الدينية أو الخلقية ويدعو إليها كمذهب أبي العتائية، ثم الشعر الهجائي الذي يهاجم الرذائل أو الأخطاء الاجتماعية وينفر منها. والغالب على الشعر العربي هو الغناء، ذلك الفن الذي يصور العواطف الشخصية ويعتمد على الخيال التفسيري كما مر القول في ذلك.

---

[٧] زاوي فاطيمة، *الشواهد في كتاب "المنزع البديع" للسجلماسي*، (تيزي وزو: جامعة مولود معمري، ٢٠١٢م)، ص ٢٦.

وهناك عدد من الخصائص التي تميز الشعر عن غيره من سائر الفنون الأخرى وتعطيه الصفات التي نعرفه بها تشتمل الإيقاع، المضمون الوجداني، والأسلوب الشعري كما سبق في القصيدة.

ففي الإيقاع انقسم إلى الخارجي والداخلي، والخارجي الأوزان والقوافي، والداخلي وهو تنغيم يحدث عندما تتوالى بعض الحركات والحروف مثل توالي حروف الصفير (السين، والصاد) أويتداخل بعض هذه الحروف والحركات مع بعضها الآخر. ويتم الاسلوب الشعري من خلال أمرين مهمين هما: لغة الشعر والخيال في الشعر، فاللغة هي التي اعتمدها الشاعر من الألفاظ واختيارها تصورا لأهدافها في الشعر، والخيال الشعري بأن يعتمد الشاعر على الخيال بشكل كبير، ويصنع منه صوراً فنية يعبر بها عن المعاني التي يريد إخراجها للناس، والشاعر الحقيقي والمبدع هو الذي يستطيع تكوين الصور الفنية والتعبير بها عن أفكاره و مشاعره.

ثالثا: الأناشيد

كانت الأناشيد في العصر الحديث سارت في موكب الدعوة إلى الله تتغنى بالأمجاد الإسلامية، ناشرة شذا عقيدة السماء في كل مكان، داعية إلى التمسك بها، والعمل بمقتضاها، والجهاد على سبيلها، حتى عدت الأناشيد جزءا لايتجزأ من وسائل الدعوة الإسلامية في هذا العصر، متخلصة من تلك المعاني خشيت بها قصائد الصوفية، ومدائح أهل البيت التي ابتعدت عن العقيدة الإسلامية الصحيحة فلم تسلم من سمات غريبة عن هذا الدين قربتها من الشرك تارة، أو الضلال أخرى، بل الكفر في بعض منها والعياذ بالله. [٨]

في كونها لغة النشيد و جمعه أناشيد بمعنى قراءة رافعا به صوته، مع اللحن الجميل، وهو قطعةٌ من الشعر ينشدها القوم على إيقاع واحد،[٩] حماسيّا

---

[٨] مروان كجك، *أناشيد إسلامية*، (الكويت: دار الأرقم، ١٩٨٧م)، ص ٥.

[٩] مجمع اللغة العربية، *المعجم الوسيط*، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م)، ص٩٥١.

كان أَو وطنيّا أو دينيا، تنشدُه جماعة او فردا أي المنشد أو المغني نفسه، يقوم هذا التعريف اصطلاحيا أو لغويا. نقول بعبارة أخرى أنها قطع شعرية مختارة قابلة للتلحين والغناء تمتاز بالإيقاع الموسيقي المؤثرة وبالتعبير عن روح الجماعة، وتكرار بعض أجزائها في أثناء الأنشاد يمكنها تضمين القيم الإسلامية واكسابها للمتعلمين، وهذا كما يشير منهاج اللغة العربية وحطوطها العريضة في مرحلة التعليم الأساسي. [١٠]

ويكشف المنشد لونا من ألوان المؤامرة الكبرى على الشباب المسلم لينشغل عن دينه وينصرف إلى لهوه وترهاقه، يكشف محذرا الأمة من خطر إضعاف الشباب، وهم عدة الأمة للحاضر والمستقبل. وصح التعبير بأن النشيد في أقسامه المتعددة؛ مثل الأناشيد الاطفالية، الاناشيد الوطنية، الأناشيد الدينية أو الإسلامية، الأناشيد الاجتماعية، والأناشيد الحبية.

فإذا وقفنا على هذه البيانات المبحوثة للقصيدة والشعر والأناشيد وصلنا اختصارا بأن الثلاثة تقوم بخصائصها النفسية، بل القصيدة والشعر كادا أن يتحير في مفهومها حسب التعاريف والعناصر وتوافر الشروط التي تجب إطلاقها. فالنشيد لايحتاج إلى شرح عظمي لأجل صورتها الظاهرة أي أنه قراءة نص الأدبي مجرد التلحين ورفع الصوت كما كان المتغني، بخلاف الشعر والقصيدة.

هذان كلمتان تؤديا إلى القصور بأن القصيدة انها تعتمد على الصورة وليس الصوت كما في باقي أنماط الشعر، فالصورة هي المحور الأساسي فهي تخرج عن إطار النظم والموسيقى الخارجية وتحتفظ بموسيقاها الداخلية أي أن الصوت واللحن ليس هو الأساس فيها فهي ترتكز على الصورة بشكل اكبر والإيقاع الداخلي للنص وما يحمله من دلالات مع اللغة والجو النفسي له.

---

[١٠] صالح ذياب هندي وزملاؤه، *أسس التربية*، (عمان: دار الفكر، ١٩٩٠م)، ص ٣٤.

والشعر يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر ويكون هذا التغيير وفق قانون عروضي يتحكم فيه، فلا يلتزم بوزن أو قافية محددة إنما يكون على هيئة مقاطع شعرية لها نسق معين وموسيقى خاصة كأن يتخذ كل سطرين نفس القافية ثم يتم تبديلها في السطرين أو البيتين التاليين أو قد لا يلتزم إطلاقا بقافية أو وزن أو مقاطع شعرية ويتحرر من كل هذا. والقصيدة "اغيب" في ديوان البرعي هي من نوع عمودية التي تعتمد نظام البيت الشعري من صدر وعجز وقافية وروي، موزونة ومؤلفة من تفعيلات محددة والتي تكون البحور الخليلية.

٢. القيمة و أنواعها في القصيدة

أ. القيمة لغة واصطلاحا

والقيمة في اللغة تأتي بمعان عدة، منها أن معنى القيم لغة من "قوم" و قام المتاع بكذا أي تعدلت قيمة به. وكلمة القيمة: الثمن الذي يقوم به المتاع، أي يقوم مقامه، والجمع: القيم، مثل سدرة وسدر، وقومت المتاع: جعلت له قيمة.[١١] وهي مشتقة من الفعل الثلاثي "قوم"، كما يقول علماء الصرف لفظ القيمة اسم هيئة من قام–يقوم وأصله قومة بالواو، سكنت الواو وكسر ما قبلها فقلبت ياء المناسبة الكسرة، وهو يأتي على معان متعددة نذكر منها مايتعلق بموضوع البحث.

يقول ابن منظور: والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، وسمي الثمن قيمة لأنه يقوم مقام الشيء، وقومته عدلته، وتقوم الشيء. تعدل واستوى وتبينت قيمته، وقيمة الشيء: قدره، وقيمة المتاع ثمنه ومن الإنسان طوله، ويقال ماله قيمة إذا لم يدم على الشيء ولم يثبت، ولذا يعبر بالأقام عن الدوام، [١٢] نحو

---

[١١] سيد أحمد طهطاوي، *القيم التربوية في القصص القرآني*، (مصر: دارالفكر العربي، ١٩٩٦م)، ص ٣.

[١٢] مساعد بن عبد الله المحيا، *القيم في المسلسلات التلفازية*، (السعودية: دار العاصمة، ١٩٩٤م)، ص ٢٦.

قوله تعالى: "عَذَابٌ مُقِيْمٌ"،[١٣] وقوله "إِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ مَقَامٍ أَمِيْنٍ"،[١٤] أي في مكان تدوم إقامتهم فيه، وعليه يرتبط بالدوام على الشيء الثبات عليه، حيث إن كل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه.

وعرفها البعض بأنها صفات، أو مثل، أو قواعد تقام عليها الحياة البشرية فتكون بها حياة إنسانية، وتعاير بها النظم والأفعال لتعرف قيمتها الإنسانية من خلال ما تتمثله منها. وعرفها البعض بأنها مجموعة من القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية وتختلف بها عن الحياة الحيوانية. [١٥] وقول صاحب أساس البلاغة أن القيمة في اللغة العربية ثبات الشيء ودوامه، وهما يشيران بذلك إلى أن القيمة ترد بمعنى الأمر الثابت الذي يحافظ عليه الإنسان ويستمر في مراعاته،[١٦] وهو ما أكده كثير من الباحثين المهتمين بالقيم الإسلامية.

واصطلاحا أنها المفاهيم التي أخذت قسطا واجماعا وافرا من قبل التربويين والفلاسفة وعلماء النفس، وذلك لفاعليتها في بناء الأخلاق ودقتها لبناء الروح لدى الفرد بما يتوافق والرؤية الدينية للناشئة. ففي المجال النفسي تعرف القيمة بأنها مجموعة من التصديقات السيكولوجية المتولدة عن الاعتقاد الديني، والممارسة الدينية التي تعطى توجيها للسلوك العملي الذي يلتزم به الفرد، [١٧] أو كما تعرف على أنها حالات إدراكية واقعية توجه جميع أفعال

---

[١٣] الشورى:٤٥.

[١٤] الدخان: ٥١.

[١٥] عبد الله بن علي بصفر، *القيم الإنسانية في الإسلام*، (جدة: البصائر القرآنية، ٢٠٠٧م)، ص ١.

[١٦] صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، *موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم*، (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م)، ص ٧٦.

[١٧] برهان منير ، *القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية*، (الأزارطية: المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩م)، ص ١٩٦

الفرد في مختلف المواقف الفردية أو الجماعية، وأهم ما يميزها هو اتصالها بثقافة المجتمع وحضارته مباشرة. [١٨]

وذكر ابن خلدون أيضا في نظريتة بأن يعيد القيم المنتجات من سلع وخدمات إلى العمل البشري، ويقر بأن العنصر الأساسي لتحقيق المعاش هو العمل،[١٩] أي أن الاشياء كلها لاتأخذ قيمتها إلا بتدخل العمل الشري.

ففي المجال الاقتصادي تعرف بأنها قيمة التبادل أي السعر المقرر للسلعة ويميزون بين القيمة والسلعة على أساس القيمة حقيقة والسعر اعتباري وذلك راجع للتراضي بين المتبادلين للسلطة، ولهذا تكون القيمة أحيانا أكثر أقل من السعر. [٢٠] وأما القيمة في المنظور الاجتماعي هو ذلك الحكم الذي يصدره الإنسان على شيئ ما، مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك، والقيمة تتضمن قانونا أو مقياسا له نوع من الثبات على مر الزمن في المجتمع، أو بعبارة أعم تتضمن دستورا ينظم نسق الأفعال والسلوك، فالقيمة مفهوم تجريدي للمرغوب فيه الذي يؤثر على اختياراتنا من عدة بدائل لطرق ووسائل وأهدافه السلوك.[٢١]

ويرى علماء الاجتماع الغربيين أن القيم من صنع المجتمع، وأنها تعبيرا عن الواقع، فالقيم حقائق واقعية توجد في المجتمع، وتعتبر عنصرا مشتركا في تركيب البناء الاجتماعي، ويحاول عالم الاجتماع عند دراسة للقيم أن يحللها ويفسرها ويقارن بين الجماعات المختلفة وتأثير القيم في السلوك،[٢٢] والقيم

---

[١٨] عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ، *" المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية"، سلسلة إسلامية المعرفة: التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية: المنهج والمجالات*، (القاهرة: مكتبة المعهد، ١٩٩٦م)، ص ٧٦.

[١٩] الطيب داودي، *نظرية القيمة عند ابن خلدون*، (مجلة العلوم الإنسانية: ٢٠٠١)، ص ٢٦.

[٢٠] عبد الرحمن بدوري، *الأخلاق النظرية*، (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٦م)، ص ٧٩.

[٢١] فوزية دياب، *القيم والعادات الاجتماعية*، (بيروت: دار النهضة العربية ١٩٨٠م)، ص ٥٢.

[٢٢] محمد سعيد فرح، *البناء الاجتماعي والشخصية*، (الإسكندرية: المطبعة المصرية للكتاب، ١٩٨٠م)، ص ٣٨٠.

ليست إلا تعبيرا عن رغبات الأفراد في إرضاع المجتمع الذي ينتمون إليه، غير أنه يلاحظ في هذا التصور نوع من المبالغة في تجسيد شخصية المجتمع حتى توارت إلى جانبها شخصية الأفراد.

فالقيم لابد أن تكون عامة وثابتة، مطلقة وكلية، بحيث تنطبق على جمع الناس دون استثناء، ولا تخضع لإرادتهم وأهوائهم الفردية والجماعية على السواء، وهذه لايمكن أن يتم إلا إذا سلمنا بأن مصدر القيم يعود إلى الله سبحانه وتعالى، يقول جاك ماريتان: "إن أي مجتمع بشري يحتاج إلى مجموعة من القيم ذات المصدر الإلهي الذي يعلو على الإنسان، أي أن مصدر القيم لا يجوز أن يرجع إلى الإنسان نفسه وإلا فإنه سيكون طرفا وقاضيا في نفس الوقت"، [٢٣] ووفق هذه الآراء فإن التسليم بأن الله هو مصدر القيم يعني:

أ) أن تتميز هذه القيم بالقداسة والهيبة، مما يجعل احترم هذه القيم أمرا نابعا من ذات الإنسان عن طاعة اختيارية ونية صادقة لكسب رضاه.

ب) أن يصبح الالتزام الأخلاقي وللمسؤولية معنى.

ج) أن يتوفر للقيم سند حقيقي.

د) الإبقاع على حرية الإنسان وإرادته في اختيار القيم التي يرتضيها.

هـ) توفر شروط الاستقرار والثبات في المجتمع.

و) بقاء ذلك الحافز متجدد على العمل والاستقامة في ذات الوقت.

ز) توفر الميزان الثابت والعادل للحكم على الأشياء والأفعال.

والراجح عند الباحثة هي ما قاله علماء الاجتماع بأن القيم تشتمل كل موضوع والظروف والمبادئ التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة، إنها باختصار شديد الإطار المرجعي للسلوك الفردي والجماعي.

---

[٢٣] مراد زعيمي، *النظرية العلم اجتماعية: رؤية اسلامية*، (جامعة قسنطينة، ١٩٩٧م)، ص ٢٢٦.

ب. مكونات القيم

القيم في ذاته تتكون من ثلاثة مستويات رئيسية وهي: المكون المعرفي، والمكون الوجداني، والمكون السلوكي، وترتبط بهذه المكونات والمعايير التي تتحكم بمناهج القيم وعملياتها وهي: الاختيار، والتقدير، والفعل.

١) المكون المعرفي ومعياره الاختيار، وهو انتقاء القيمة من أبدال مختلفة بحرية كاملة بحيث ينظر الفرد في عواقب انتقاء كل بديل ويتحمل مسئولية انتقائه بكاملها، وهذا يعني أن الانعكاس الإرادي لايشكل اختيارا يرتبط بالقيم. ويعتبر الاختيار المستوى الأول في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم، ويتكون من ثلاث درجات أو خطوات متتالية هي استكشاف الإبدال الممكنة، والنظر في عواقب كل بديل، ثم اختيار الحر.[٢٤]

٢) المكون الوجداني ومعياره التقدير الذي ينعكس في التعلق بالقيمة والاعتزاز بها، والشعور لاختيارها والرغبة في إعلانها على الملأ. ويعتبر التقدير المستوى الثاني في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم ويتكون من خطوتين متتاليتين هما الشعور بالسعادة لاختيار القيمة، وإعلان التمسك بالقيمة على الملأ. [٢٥]

٣) المكون السلوكي ومعياره الفعل أو الممارسة والعمل، ويشمل الممارسة الفعلية للقيمة أو الممارسة على نحو يتسق مع القيمة المنتقاة، على أن تتكر الممارسة بصورة مستمرة في أوضاع مختلفة كلما سنحت الفرصة لذلك. ويعتبر الممارسة المستوى الثالث في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم، وتتكون من خطوتين متتاليتين هما ترجمة القيمة إلى ممارسة، وبناء نمطي قيمي.[٢٦]

---

[٢٤] فؤاد علي العاجز وعطية العمري، *القيم وطرق تعلمها وتعليمها*، (غزة: الجامعة الإسلامية، ١٩٩٩م)، ص ٦.

[٢٥] المرجع نفسه، ص ٦.

[٢٦] المرجع نفسه، ص ٧.

ج. مصادر القيم

١) الدين الإسلامي: متمثلا في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجماع والاجتهاد، والقياس، وهذه هي المصادر المؤسسة للقيم في مجتمعنا، وإن أخذ التمسك بها يضعف شيئا فشيئا إلى أن يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد لهذا الأمة أمور دينها، وقد بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء. وجميع القيم المستمدة من هذا المصدر هي الخير كله، ومصدر سعادة للبشرية في دنياها وآخراها إن تمسكت بها حق التمسك.

(أ) كتاب الله: لا شك ولا ريب في أنه مصدر الأعلى العليا في الإسلام، منزل على نبينا محمد هدى ورحمة للعالمين تواتريا ينظم حياة البشرية بجميع قوانينها الشرعي، مرشد إلى الصحيحة الصالحة، هو كتاب الله العزيز والتصور الجامع، والدستور الخالد الذي لايأتيه الباطل أبدا و يهدي الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

ولهذا فإن القرآن مصدر كل القيم الاسلامية خاصة، وإن المؤمن مأمور بالإيمان به والعمل بما جاء به، والمتأمل لآيات القرآن الكريم يجد أن ما من آية أو سورة إلا وتسعى إلى غرس قيمة عليا مثل التقوى بالإضافة إلى قيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوفاء بالعهد والأمانات وقد استمد الرسول صلى الله عليه وسلم قيمة من القرآن وكان خلقه القرآن، ثم آخذ صحابته القرآن حفظا وعملا بغير تعديل، وكذلك القيم المطبقة لدينا الآن.

(ب) السنة النبوية المطهرة: وهو المصدر الثاني في أخذ القيم تحته، مجموعة ما نقل بالسند الصحيح من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأعماله وتركته ووصفه وإقراره ونهجه وما أحب وما كره وأحوال حياته سواء بعد البعث أو قبلها، وكل ما صدر عنه يعتبر مقصودا به التشريع والاقتداء.[٢٧]

(ج) إجماع الأمة: وهو ما اتفق عليه المسلمون في عصر من العصور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي لواقعة ما، ويمكن اعتبار الاتفاف مصدرا من مصادر التربية الإسلامية. [٢٨] تعد الإجماع يمثل مصدرا ثالثا للقيم يتأكد فيه دور العقل في الشريعة الإسلامية.

(د) الاجتهاد: بذل الجهد في تعريف الحكم الشرعي اجتهاديا، وإذا تم الاتفاق بين المجتهدين في إحدى المسائل المبحوثة كان هذا الاتفاق قانونا شرعيا لايجوز اختلافه.

٢) العصر الجاهلي: حيث إن هناك قيما لازال كثير من الناس يتمسك بها وكانت سائدة في العصر الجاهلي، وبعض هذه القيم قيم إيجابية كالنخوة والشجاعة وإغاثة الملهوف، وبعضها قيم سلبية تضر الأفراد والمجتمع كالعصبية القبلية والأخذ بالإيثار.[٢٩]

٣) التراث الإنساني العالمي: فنظرا لسهولة الاتصال بين أجزاء العالم أصبح من السهل انتقال القيم من جزء.

---

[٢٧] علي خليل أبو العنين، *القيم الاسلامية والتربية-دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها*، (المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حلبي، ١٤٠٨م)، ص ٦٢.

[٢٨] عبد الوهاب خلاف، *علم أصول الفقه*، (القاهرة: دار القلم، ١٩٤٣م)، ص ٢٣.

[٢٩] عبد الوهاب و هاشم سعيد،" *دور المعاهد التقنية في مجتمع عربي متغير*" *المجلة العربية لبحوث التعليم العالي*، (١٩٨٦م)، ص ٨٢.

د. وظائف القيم

- لدى الفرد

أ) إنها تهيئ للفرد خيارات معينة، لديه إمكانية الاختيار والاستجابة لموقف معين، كما أن القيم تعطي الفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب منه.

ب) إنها تدفع الفرد لتحسين أفكاره ومعتقداته.

ج) تساعد القيم الفرد على فهم الآخرين من حوله، وتوسع إطاره المرجعي في فهم علاقاته مع الآخرين.

د) تعمل القيم على إصلاح الفرد اجتماعيا وأخلاقيا ونفسيا وفكريا وثقافيا والغير.

هـ) كما أنها تعمل على ضبط نزوات الفرد وشهواته ومطامعه.

- لدى الاجتماع

أ) تحافظ القيم على تماسك المجتمع، وتساعده على مواجهة التغيرات التي تحدث فيها.

ب)تحمي القيم المجتمع من الأنانية والدونية الطائشة.

ج) تزود القيم المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع المجتمعات الأخرى من حوله.

د) أن القيم تجعل سلوك الجماعة عملا تبتغي به وجه الله تعالى.[٣٠]

لكن تم تصنيف القيم تصنيفات متعددة بحس عدد من الاعتبارات، كما صنفها عبد الرحمن بدوي إلى ثلاث مجالات: قيم عقلية وقيم جمالية وقيم أخلاقي. وصنفها البعض على أساس ما هو مادي محسوس وغير محسوس إلى قيم مادية وقيم روحية. وصنفها البعض بحسب الأشخاص إلى

[٣٠] فؤاد علي العاجز وعطية العمري، *القيم وطرق تعلمها وتعليمها*، ص ١٣.

قيم نظرية، وقيم اقتصادية، وقيم جمالية، وقيم اجتماعية، وقيم دينية، وقيم سياسية، وقيم فنية.[٣١] وقد صنف عبد الحميد الهاشمي وفاروق عبد السلام القيم إلى قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع ربه، وقيم متصلة بعلاقة الإنسان مع نفسه، وقيم متصلة بعلاقة الإنسان مع الآخرين، وكما جرى إلى الآخر.

فعليك بعض التوضيحات التي تم تعليقها بالقصيدة وكما تدور فيها كثيرا من الأحيان:

- القيم النظرية: يقال القيم العقلية وهي التي تساعد على إدراك الحق، وهي التي تهتم باكتشاف الحقيقة والاتجاهات المعرفية.[٣٢]
- القيم الخلقية: يعتبر عنها القيم المتعلقة بتكوين السلوك الخلقي الفاضل عند المسلم، ليصبح سجية وطبعا يتخلق به ويتعامل به مع الآخرين لتكوين مجتمع إسلامي فاضل تسوده المحبة والوئام، كالبر، والأمانة، والصدق.[٣٣]
- القيم الحضارية: إنها القيم المتعلقة والمرتبطة ارتباطا وثيقا بالبناء الحضاري للأمة الإسلامية، متمثلة في التقدم العقلي والمادي معا، كالاستخلاف، والمسؤولية، والحرية، إلخ. [٣٤]
- القيم السياسية: تتمثل في اهتمام الفرد وميله للحصول على القوة، ومن ثم فإن الفرد يهدف إلى السيطرة والتحكم في الأشخاص أو الأشياء وتوجيه مصائر غيره من الناس. [٣٥]

---

[٣١] سيد أحمد طهطاوي، *القيم التربوية في القصص القرآني*، ص ٤٦.

[٣٢] محي الدين أحمد حسن، *القيم الخاصة لدى المبدعين*، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م)، ص ٢٩.

[٣٣] عبد الله بن علي بصفر، *القيم الإنسانية في الإسلام*، (جدة: البصائر القرآنية، ٢٠٠٧م)، ص ٣.

[٣٤] المرجع نفسه.

[٣٥] بن منصور اليمين، *دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية*، (باتنة: جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٠م)، ص ٢٥.

- القيم الاقتصادية: بعبر عنها اهتمام الفرد وميله إلى ما هو نافع اقتصاديا، ويتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة بنظرة عملية، عادة من رجال الأعمال.[٣٦]
- القيم الجمالية: تلك القيم التي تتمثل بما هو جميل من ناحية الشكل، وناحية التكوين، والتنسيق والتوافق الشكلي. [٣٧]
- القيم الاجتماعية: هي القيم التي تساعد الإنسان إلى وعي وادراك وضبط وجوده الاجتماعي بحيث يكون أكثر فاعلية، وهو ضبط حاجة الإنسان للارتباط بغيره من الأفراد.[٣٨]
- القيم التعبدية: يقصد بها القيم التي تحدد الكيفية التي يسلكها المؤمن من القيام بفرائض الدين المختلفة، وتشتمل الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج، وسائر ما أمر الله تعالى به، واجتناب ما نهى الله تعالى عنه.

والآخر منها تعني القيم الدينية والقيم الصوفية، بل البحث ليس هنا، سيأتي بحثها نفسيا تخصيصيا إن شاء الله.

٣. القيم الصوفية والقيم الدينية

أ. القيم الصوفية

وقد اختلف الدارسون في معني كلمة التصوف أو الصوفي فمنهم من يقول أن التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية، ومنهم يقول هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة.

---

[٣٦] سيد أحمد طهطاوي، *القيم التربوية في القصص* القرآني، (مصر: دار الفكر العربي، ١٩٩٦م)، ص ٤٧.

[٣٧] بن منصور اليمين، *دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية*، ص ٢٥.

[٣٨] محمد علي المرصفي، *بحوث ودراسات في التربية الإسلامية*، (مصر: مكتبة وهبة، ١٩٨٧م)، ص ٢٥١.

فالأهم هي التي تهتم بالشئون الدينية أو هي التي تتصل بأشياء عير مادية تتعلق بالإنهائي،[٣٩] فالمؤمن يعتقد بعالم الغيب والشهادة ومصدر هذه القيم، أن يؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويؤمن كذلك بالغيبيات الأخرى مثل عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين والإيمان بقضاء الله وقدره وحكمته ومشيئته وأنه لايحدث شيء في الوجود إلا بعلمه وتقديره، أي لايقع شيء في وجود من أفعال العباد الاخيارية إلا بعد علم الله وتقديره وأنه تعالى عدل في قضائه وقدره، حكيم في تصرفه وتدبيره وأن حكمة تابع لمشيئته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولاحول ولاقوة إلا بالله.

إذ القيم الصوفية بمعنى أنها تستند إلى عالم الغيب لا عالم الشهادة، فيه غذاؤها واستقرارها، فمحل القيم الصوفية من الإنسان المخاطب في الإنسان بذلك هو باطنه المعبر عنه بالقلب والنفس وجواره الجسد. فالقلب كما في قوله: أَلَآ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ، وَإِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَآ وَهِيَ الْقَلْبُ،[٤٠] وقوله في النفس: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ.[٤١]

ومجالات التدرب عليها العبادات المختلفة الفرائض منها والنوائل، لذلك أرشدنا الإسلام إلى تزكية النفس والمتمثل في القيم بأركان الإسلام الخمسة إضافة إلى النوافل لتحصيل الحد الأعلى من الكلمات النفسية والصوفية. وتجلياتها في الواقع هي متعددة بتعدد اهتمامات الإنسان وحاجته عبر أخلاق شرعية شمولية منها التوبة والإخلاص والتوكل والصبر والشكر والرضا والغير. مع كون الخصائص أنها:

---

[٣٩] محمد علي المرصفي، *بحوث ودراسات في التربية الإسلامية*، ص ٢٠٩.

[٤٠] ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٤م)، ص ١٥٧.

[٤١] ق: ١٦.

أ) خاصية الثبات أي القيم الموجودة ومطلوبة في كل مكان وزمان هي قرب الإنسان أو بعده منها، فالعدل مثلا قيمة ثابتة لا تتغير مهما تغيرت الظروف والأحوال وقل هكذا في الأمانة وكرم و البر.

ب) خاصية الاستمرار ومعناها أن المسلم مطالب بتحري هذه القيم واتزامها في مختلف مناحي الحياة.

ج) خاصية الشمول ومعناها أن القيم توجه سلوك الإنسان في مختلف مجالات الحياة حيث تشمل علاقته بربه.[٤٢]

ووسائل التنمية والترسيخ للقيم الصوفية تنمية للعقل الصوفية بأن المتأمل في القرآن الكريم وسنة النبي (ص) يجد أن الله تعالى أورد فيه أدعية و أفكار متنوعة ومتعددة بحسب المواقيت والأمكنة والأحوال والظروف والأعمال ويجد أن رسول الله، علم الناس أذكار وأدعية كثيرة تجعل المؤمن دائم الصلة بخالقه في كل وقت وحين، والتمرن على فعل كل انواع الخير ترسيخ للقيم الصوفية، وأن ذكر الله تعالى وسيلة لتنمية القيم الصوفية لا يقتصر اللسان بل يتعداه إلى وسائل الجواب التي تسارع إلى فعل الخير استجابة للأموام الخالق سبحانه وتعالى وعملا بإرشادات النبي الكريم لذلك وجب على المؤمن أنينهي في قلب قيم الإخلاص المودة والرحمة.

ب. القيم الدينية

فالقيم الدينية بشكلها العام أنها عمل بكل أنواعه المباحة يسعى الفرد للقيام به لرضا ربه و لرضا نفسه في حياته الكريمة السعيدة،[٤٣] فيعتبر هذه الأعمال البشرية الربوبية قيمة دينية، فهو يرغب في معرفة ما وراء العالم الظاهري و مصيره، و يرى أن هناك قوة تسيطر على العالم الذي يعيش فيه

---

[٤٢] سامي، *القيم الروحية في الاسلام*، http://jjdeleve.ahlamontada.com/t201-topic ، ٢٠١٣/١٠/١٥.

[٤٣] حامد محمود مرسي أحمد، *القيم الدينية و الأخلاقية و دورها في الازدهار الاقتصادي*، (القاهرة: دار الطلائع ٢٠١١)، ص ١٦.

و يحاول أن يصل نفسه بهذه القوة، و يتميز الاشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة في طلب الرزق و السعي وراء الحياة الدنيا على اعتبار أن ذلك عمل ديني.

بل تحددها الباحثة بكلمة إسلامية هنا ليس الغلط بأن يقول القيم الإسلامية أي أنها من الدين الإسلامي الحنيف الذي يعتبر "الحسن"، هو ما وافق شرع الله واستوجب الثواب في الآخرة، ويعتبر القبيح هو ما خالف شرع الله ويترتب عليه العقاب في الآخرة. فمجالاتها هي مجال العقيدة ومجال علاقة الفرد المسلم بغيره من البشر ومجال علاقة الإنسان بالكون،[٤٤] مع كون الخصائص أنها:

١) الربانية: فالقيم الدينية الإسلامية ربانية المصدر، بمعنى أنها مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله أساسا.
٢) الثبات: بمعنى لايعني الجمود، فهي لاتتغير ولاتتطور حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية.
٣) التوازن: أي الوسطية وعدم لإفراط أو التفريط بمظاهر مثل توازن بين متطلبات الفرد ومتطلبات الجماعة، والتوازن بين متطلبات الدنيا ومتطلبات الآخرة.
٤) الإيجابية: أي إيجابية خيرية تؤدي بمن يعتنقها إلى سعادة الدنيا والآخرة.
٥) الواقعية: أنها تتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي المستيقن والأثر الواقعي الإيجابي.
٦) قيامها على مبدأ التوحيد: لايجوز لفرد أو جماعة أن يتعارفوا على قيم تتعارض بتوحيد الله، وألا يتناقض بمبادئ الإسلام.
٧) الاستمرارية: أنها قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان.

---

[٤٤] فؤاد علي العاجز وعطية العمري، *القيم وطرق تعلمها وتعليمها*، ص ١٧.

٨) التسامح والحرية: قائمة على التسامح وخرية الإختيار والاقتناع.
٩) عدم تعارضها مع العلم: قيم صائبة وصحيحة لايمكن تصطدم بقاعدة علمية صحيحة.[٤٥]

فتناول هذا لبحث على أن القيم الصوفية والقيم الدينية في وجودها فرق واضح، قد اعتمد الأولى بعالم الغيب لا عالم الشهادة بخلاف الثانية المستمدة على المعاملات الربانية والمعاملات البشرية تعني حياة اجتماعية. فهي ظاهر واقعي لا مع تصورات عقلية مجردة.

ب.المبحث الثاني: عبد الرحيم البرعي وقصيدته "أغيب"

١. الحالة الدينية والاجتماعية في ٨٠٣ هجرية

يقصد بالحالة الاجتماعية في بلد من البلاد ذكر طبقات المجتمع في هذا البلد من حيث الجنس والدين وعلاقة كل من هذاه الطبقات بعضها ببعض، ثم بحث نظام الأسوة وحياة أفرادها. وما يتمتع به كل منهم بالحرية. ثم وصف البلاد ومجالس الخلفاء والأعياد والمواسم والولائم والحفلات وأماكن النزهة. ووصف المنازل وما فيها من أثاث وشراب ولباي وما إلى ذلك من مظاهر المبحثين وكان الشعب في أواخر العصر العباسي الأول يتألف من عدة عناصر؛ وهي العرب والفرس والمغاربة وقد ظهر العنصر التركي على مسرح السياسية في عهد الخليفة المعتصم.

فمن المعروف بأن الشيخ البرعي اليماني عاش حول سنة ٨٠٣ هـ/١٤٠٠م تحت العصور الوسطى حين تولى العباسيين مركزا للمسلمين، وهي في عصر الدولة الرسولية ٦٢٦- ٨٥٨ هـ/ ١٢٢٩- ١٤٥٤م في اليمن. عرفت اليمن في العصر الرسولي (٦٢٦- ٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م) نهضة

[٤٥] المرجع نفسه، ص ١٥-١٧.

علمية وثقافية واستقرارا اقتصاديا وسياسيا، وتطورا في الزراعة والصناعة، وشهدت مدن اليمن المختلفة توسعا وتطورا في العمران والبناء غير مسبوق.

ويرجع السبب في ذلك إلى أن الملوك الرسوليين كانوا علماء، اجتهدوا في طلب العلم وجدّوا في اكتساب المعارف حتى بلغوا درجات جهابذة العلماء ومكانتهم العظيمة، فصنفوا المؤلفات الجليلة النافعة المفيدة في مجالات وفروع العلوم المختلفة، وكرموا العلماء من عامة الناس وأنزلوهم في المكانة التي تليق بحالهم، وكافؤوهم على مصنفاتهم، واستضافوا الكثير من العلماء المشهورين واستقدموهم من مختلف أقطار العالم الإسلامي، ورغبوهم وحببوا إليهم البقاء والعيش في اليمن بغية الاستفادة والاستزادة من علومهم.

انتشرت في عصر هؤلاء العلماء الملوك مجالس العلم والأدب، وظهرت وانتشرت مئات المنشآت التعليمية المختلفة من مدارس وأربطة علم وخانقات، ودُرست العلوم المختلفة فيها، وزخرت الجوامع والمساجد بحلقات الدرس، وتحولت منازل بعض الفقهاء إلى مدارس علم، وتعلم الملك والغني والأمير والفقير واليتيم. حرص العلماء الملوك من بني رسول على تعيين مستشاريهم من العلماء، وولوهم أهم وأعلى المناصب والوظائف، ومنحوهم كامل الحرية الفكرية :يكتبون ويقولون أراءهم بصدق وأمانة دون خوف أو تردد، وكان إذا وجه عالم نصيحة أو نقدا أو مقترحاً يصحح مسارا أو يفيد الناس تقبله الملك وعمل به وقدر صاحبه وقربه منه.

كانت أولى وأهم خطوات ملوك الدولة الرسولية لنشر العلم هي القيام بإنشاء وعمارة مدارس للعلوم الإسلامية في العديد من المدن والمناطق اليمنية، وقد أنشأ مؤسس الدولة الرسولية وأول ملوكها المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول (٦٢٦-٦٤٧هـ/١٢٢٩- ١٢٤٩م) ثمان مدارس هي: مدرسة للفقه في مكة المكرمة، ومدرستان في مدينة تعز، وثلاث مدارس في مدينة زبيد،

ومدرسة في مدينة عدن، وأخرى في حد المنسكية بوادي سهام في محافظة الحديدة.

وعمل الملوك الرسوليون الذين توارثوا الحكم من بعد الملك المنصور عمر على نشر العلم والمعارف من خلال قيامهم ببناء المدارس والجوامع والخانقات والأربطة وحرصوا على تجديد وترميم وإصلاح هذه المنشآت التعليمية، وشاركت الأميرات الرسوليات في الحياة السياسية والدينية والعلمية والثقافية. فليعرف بأنهم يعيشون عيشة راضية تشمل العالم الدينية الربية التي شهدتها الدولة الرسولية.

وفي الحياة الاجتماعية حظيت الطبقات الاجتماعية في اليمن في المدة السابقة على قيام الدولة الرسولية باهتمام عدد من الباحثين، وراح كلٌ منهم يقسم المجتمع بالطريقة التي يراها تتناسب والمعطيات التاريخية المتوافرة لديه، مكونا بذلك سلما اجتماعيا تتدرج فيه الطبقات من الأعلى إلى الأسفل، مميزاً بين كل طبقة وأخرى بأمور – سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية ودينية – كان لها الأثر الأكبر في تحديد مستواها الاجتماعي.

وبناء على ذلك يمكن أن نقسم المجتمع اليمني آنذاك إلى طبقتين هما: طبقة الخاصة وَ طبقة العامة، على أن تقسم كل طبقة إلى عدة فئات وكل فئة إلى عدة شرائح، وتترك لنا المصادر الخيار في إدراج كلٍ من أفراد المجتمع في الفرع الذي يناسبه، لاسيما وأن هناك تقسيماً داخلياً لِمَا يعرف بالخاصة وآخر لِمَا يعرف بالعامة.

أولاً – طبقة الخاصة:

تكونت من أرفع الناس منزلة، وأكبرهم مكانة، وأكثرهم نفوذاً في المجتمع، ويأتي السلطان الرسولي على رأسها مع جميع أفراد أسرته من أبنائه (الملوك) وأحفاده، وأقربائه الأمراء، والحكام من كبار السادة (الأشراف)، ومشائخ القبائل، وكبار الموظفين، وكبار التجار، وتنقسم هذه الطبقة إلى عدة

فئات هي فئة السلاطين وأقرباؤه التي تضم الشرائح مثل شريحة السلاطين، شريحة أبناء السلاطين، وشريحة أقرباء السلاطين، ثم فئة الحكام الأشراف الذين ينسبون إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) من جهة ابنته فاطمة، وفئة مشائخ القبائل وغيرها من الفئات المختصة.[٤٦]

ثانياً – طبقة العامة:

تتكون هذه الطبقة من فئة موظفي الدولة التي تضم شريحة الحاشية السلطانية، شريحة موظفي البيوتات السلطانية، شريحة موظفي المطابخ السلطانية وشريحة الجند (العسكر)، ثم فئة صغار السادة (الأشراف) وشرائحها، وفئة صغار العلماء مثل شريحة القضاة، والفقهاء، والنساخين، وفئة صغار التجار بشرائحها، وفئة الفلاحين بشرائحها، و فئة أرباب الصناعات بشرائحها، وفئة أرباب الحرف بشرائحها.

ولايخلو هذه الحالة أحدها من تطور علميي كبير شهده العصر العباسى عدة عوامل مثل التطور العقلى، والتأثر بالثقافات المختلفة من فرس وهند وإغريق وبخاصة فى علوم الفلسفة الطب والفلك والرياضيات، ازدهار الثقافة الدينية من تفسير للقرآن وجمع للحديث وظهور المذاهب الفقهية، والعناية بالعلوم اللغوية وظهور مدرستين للنحو واحدة فى الكوفة وأخرى فى البصرة.

وكان لكل هذه النواحي أثر على الأدب (شعرا ونثرا) فى هذا العصر عوامل عديدة أدت إلى ازدهار الشعر فى العصر العباسى الأول منها:

١) تشجيع الحكام والخلفاء للأدب وللشعراء وكثرة العطايا لهم.
٢) الرقى الثقافي والحضاري الذي شهده هذا العصر بسبب حركة الترجمة والتأليف ومجالس العلم.
٣) اشتغال معظم الحكام والخلفاء بالشعر والأدب.

---

[٤٦] طه حسين عوض هديل، *الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية* (٨٥٨هـ- ٦٢٦هـ / ١٢٢٩ – ١٤٥٤م)، لليمن: جامعة عدن،٢٠٠م)، ص ٤.

٤) الامتزاج القوى فى الدماء والعادات والأفكار بين العرب وغيرهم من الأمم الأخرى.

٥) تعدد الأحزاب والتنافس بين شعرائها.

ويكفي أن نشير إلى كتب مثل : الأغاني، الشعر والشعراء، البيان والتبيين، الحيوان، نقد الشعر، نقد النثر، الأمالي، العمدة، أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، الصناعتين، العقد الفريد، ومعظم كتب التفسير، والمعاجم اللغوية، وغير ذلك المئات من كتب اللغة النحو والقراءات والأدب والنقد.

٢. عبد الرحيم البرعي اليماني

الاسم والنسب

وإنما هي عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني؛ شاعر وأديب عربي يمني من العصر الرسولي، من سكان برع و هو جبل في تهامة مما يلي اليمن، عاش البرعي في نهايات القرن الثامن وبداية التاسع في منطقة غرب اليمن يقال لها (النيابتين) في مديرية برع وهي منطقة جبلية في الشمال الغربي من مدينة الشرق وفي الجنوب الشرقي من مدينة باجل، هي اليوم من ولاية الحديدة.

لم يذكر المؤرخون و أهل التراجم مولد البرعي و لا طفولته و منشأه، و ليس لدينا أي خبر من حياته إلا ما ذكر الزركلي من أنه أفتى و درس (الأعلام ترجمة البرعي)، و يتضح من شعره أنه كان على قدر رفيع في اللغة و السيرة النبوية و أنه كان يميل إلى التصوف و أصحابه فتتلمذ على الشيخ عمر بن محمد العُرابي و مدحه و هذا الشيخ من أصحاب الخرقة و من السائحيين الذين يعتقد فيهم الكرامات.[٤٧]

[٤٧] أرشيف ملتقى أهل الحديث-٣، http://kadi-3ayad.forumeducatif.com/t42-topic ، ٢٠١٣/١٠/١٢.

ديوان البرعي مشهور، فيه قصائدُ في تمجيد الله عز وجل، وفي المديح النبوي، وفي الإستغفار، وفي مدح آل البيت، وفي التشوّق لمكة والمدينة وفي الإستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الوعظ، وغير ذلك. يمتاز شعره بالسلاسة والبراعة والإشراق والسهولة، وهو شعرٌ جديرٌ بالحفاوة والتقدير. ويذكر في بعض التسجيل أنه من احدي مشاعر عصر العباسي.

وتريد الباحث أن توضح الخلاف بين شعر عبد الرحيم البرعي اليمن الأول الذي اهتم بالروحنيات ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وبين شعر البرعي السوداني الذي خرج بشعره عن الظوابط الإسلامية حيث يمدح البرعي شيخه أحمد الطيب البشير قائلاً:

عَنِ الْغَوْثِ الْمُبَارَكِ مَنْهَجِيٌّ ** وَمَشُوْرَتِيْ فِي النَّاسِ أَنْ يَتَطَيَّبُوْا

إلى أن يقول:

كَإِحْيَائِهِ مَيْتاً وَكَالْبِنْتِ بَعْدَمَا ** أَتَتْ وَهِيَ أُنْثَى لِلذُّكُوْرَةِ تُقَلِّبُ
وَمَنْ قَالَ هَذَا قَبْرُ أَحْمَدِ أَوَّلاً ** فَصَاحِبُهُ فِي الْقَبْرِ لَيْسَ يُعَذِّبُ

وفي رياض الجنة ونور الدجنة لعبد الرحيم المسمى البرعي السوداني ص١٢٧ فهنا أثبت أن منهجه الغوث بشيخه وأنشيخه يحي الموتى، ويحول الأنثى إلى ذكر وهذه ليست لا لرب العالمين نستغفر الله من الشرك كما يقول في كتابه أزاهير الرياض ص١٣٢من دفن بين الشيخ أحمد الطيب البشير وبين لشيخ عبد المحمود أبي شيبة فإنه لا يُعذب في قبره بنوع من أنواع العذاب ولا بالنار.

ومن كلام الشيخ أحمد الطيب : من قال عند حفره لقبر ميت من الأموات : هذا قبر أحمد الطيبتة، فلا يُعذب ولو لم يكن من أهل الطاعات. يقول الشيخ أحمد الطيب : دخلت الخلوة فجاءني جبريل عليه السلام وبيده

قطعة من حرير مكتوب فيها "اللهم صل على سيدنا محمد النور وآله"، ويقول الشيخ أحمد الطيب: من رآني ومن رأى من رآني إلى سبعة لم يُحرق بالنار. ومن أحب الشيخ أحمد الطيب لا يحرق بالنار.

فانظروا كم من الخرافات يأتي بها هذا الرجل فمن الظلم أن نشبه المخرف برعي السودان الذي خرج في كتابته عن أصول الدين وملئها خرافات وشرك بالبرعي الروحاني الفقيه الأديب العاشق للمصطفى بالعاشق لشيخه أحمد الطيب شتان بينهما والأصل أن يمنع الناس من الانتساب لغير إنسابهم البرعي يمني والذي ينتحلون اسمه الأصل أن توضع إنسابهم هذا للتوضيح حتى نكون على بينة من أمر هذا الرجل وهو برعي السودان، هذا توضيح فقط هتى لا ينسب الجهد لغير من عمله.

حياته العلمية

للشيخ طريقة صوفية قادرية وشيخه الشيخ عمر العرابي الذي ينتهي سند سلسلته إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني. وكانت الطريقة القادرية تكاد تكون الوحيدة في اليمن آنذاك حتى دخلت الطريقة الشاذلية إلى اليمن عن طريق الشيخ علي بن عمر الشاذلي نزيل المخا في القرن الثامن الهجري بعدما أخذ الطريقة في مصر من شيخه ناصر الدين ابن بنت الميلق الخليفة الرابع للشيخ أبي الحسن الشاذلي. وجلي من قراءة ديوان البرعي أنه كان صوفياً غارقاً في حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، كما كان محباً للأولياء والمشايخ من أهل زمانه معتقداً فيهم ومعظماً لجنابهم، ويرى أنهم امتداد للنور النبوي الوارثين عنه علوم الشريعة والحقيقة.

حصل البرعي على نصيب كبير من العلم ولعله قد درس في الأربطة الصوفية التي كانت متناثرة في تهامة وحراز وبرع في ذلك الزمان. ويندر أن تجد في ديوانه خطأ نحوياً ويشهد لذلك قوله: كلام بلا نحو طعام بلا ملح ونحو بلا

شعر ظلام بلا صبح، وهذا يدلك على علم وذوق. فإن الكلام بلا نحو يكون ممجوجاً ومستقبحا عند سماعه، كما يكون النحو جافاً ومظلماً إذا لم يكن له قالب شعري وأدبي يخفف من وطأة جفافه وظلمته.[٤٨]

على أن البرعي فوق شعره وعلمه كان شاعراً صوفياً مستهترا في المعنى، درويشا متبذلا في حياته، فقيراً صادق الفقر كثير الترحال والتطواف على أولياء عصره. قصر نبوغه على مدح الله والنبي والآل فكان بحق شاعر الذات المصطفوية.

شيوخه

١. الشيخ عمر بن محمد العُرابي.
٢. الشيخ علي بن عمر الشاذلي.

ديوانه

كما سبق أن موضوعات شعره لم يطرق موضوعات في الشعر كثيرة. ويمكن تقسيم شعره إلى: القصائد الإلهية، القصائد النبوية، قصائد في مدح الأولياء والمشايخ، قصائد في الوعظ بيد أن معظم قصائده كانت في المديح النبوي. وهو عند النقاد يمثل درجة عالية من هذا الفن، بل إنه يحسب من طبقة البصيري وللصوفية ولع بشعره، وفي موريتانيا يكثر المطربون من الغناء به. يرى كثير من الناس أن في شعره غلو ومحالفات عقائدية.

من أشهر قصائده في المديح النبوي قصيدته التي مطلعها : قلْ للمطيِّ اللواتي طالَ مسراها منْ بعدِ تقبيلِ يمناها ويسراها. وهناك أيضا ديوان النبويات

[٤٨] ناظم عبدالملك سعيد الدبعي، *عبد الرحيم البرعي؛الهائم في الذات المحمدية، مجلة يومية الجمهورية اليمنية*، (الجمعة ٢٤ أكتوبر–تشرين الأول ٢٠٠٨م).

في مدح سيد السادات عليه من الله السلام والصلاة، ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية.

وفاته

توفي ببرع بين بنيه و ذويه في تاريخ مختلف فيه إلى حد أن بعضهم كأحمد خير بك والبابني ذهبا إلى أنه من رجال القرن الخامس وهو وهم لا شك، فقولٌ أنه توفي في منتصف القرن الخامس الهجري ، وقول أنه كان من الأحياء في القرن العاشر الهجري على الأقل ، وقول آخر بين هذين القولين. أنه مدفون في قرية النيابتين من مديرية برع التي عاش فيها طيلة حياته ودفن فيها وقبره موجود هناك يزار وله مولد سنوي يقيمه أهل النيابتين و يحضره كثير من أهل اليمن في أول جمعة من شهر رجب المعظم.

وأما الزركلي فيقدم سنة ٨٠٣هـ، وهذا ما أثبت صاحب الأعلام بأنه توفي عام ٨٠٣ هـ الموافق ١٤٠٠ م، إنه جاور في الحجاز ، وعاش فيه متبتلاً زاهداً متصوفاً، وعندما كان مسافراً إلى المدينة وافاه الأجل قبل الوصول إليها، ودُفن في مكانه، وهو الذي طالما تمنى القرب من النبي صلى الله عليه وسلم والوفاة في مدينته المنورة، أي حين سافر إلى الحج، فلما اقترب من الديار المقدسة أعاقه المرض ولم يستطع التحرك، فأنشأ هذه القصيدة المؤثرة التي يقال بأنه توفي على إثرها – رحمه الله:[٤٩]

يَـا رَاحِـلِيْنَ إِلَى مِـنَى بِقِيَـادِيْ ❁ هَـيْجَتُمْ يَـوْمَ الـرَّحِيْـلِ فُـؤَادِيْ
سِرْتُمْ وَسَارَ دَلِيْلُكُمْ يَا وِحْشَتِيْ ❁ الشَّوقِ أَقْـلَقَنِيْ وَصَوْتُ الْحَـادِيْ

[٤٩] علي همام، *ديوان الشاعرعبدالرحيم البرعي رحمة الله عليه*، http://www.al-yemen.de/bb/viewtopic.php?t519، ٢٠١٣/١٠/١٢.

قالوا عنه:

- كما أورد السخاوي فأني يمدحه البرعي بقوله: فهذا وإن كان العقل لا يمنع أن يمدح به شيخ هرم شابا لما يبرز بعد فإن العرف يأباه.
- فقد ذكر المرتضى أن له مقاما عظيما ببلدته وذرية صالحة.[٥٠]
- يقول القشيري: اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع.[٥١]

٣. قصيدة " أغيب" وشرحه

قبل البحوث الحقيقية عليك الكلمة التي تراد بها في الحل، وهي قصيدة "أغيب" كما سيأتي:

١ أَغِيْبُ وَذُو اللَّـطَائِـفِ لاَ يَغِيْبُ ❋ وَأَرْجُـــوْهُ رَجَـــاءً لَا يَـخِـيْبُ

٢ وَأَسْـأَلُهُ السَّـلَامَـةَ مِنْ زَمَـانٍ ❋ بُـلِيْتُ بِـهِ نَـوَائِبُـهُ تُـشِيْبُ

٣ وَأُنْـزِلُ حَـاجَتِيْ فِيْ كُـلِّ حَـالٍ ❋ إِلَـى مَـنْ تَـطْمَئِنُّ بِـهِ الْقُلُوْبُ

٤ وَلَا أَرْجُـــو سِـــوَاهُ إِذَا دَهَـــانِي ❋ زَمَـانُ الْجَـوْرِ وَالْجَـارُ الْمـرِيْبُ

٥ فَكَـــمْ لِلَّـــهِ مِنْ تَدْبِـــيْرِ أَمْـــرٍ ❋ طَـوَتْـهُ عَنِ الْمُشَاهَدَةِ الْـغُيُوْبُ

٦ وَكَمْ فِي الْغُيْبِ مِـنْ تَيْسِيْرِ عُسْـرٍ ❋ وَمِـنْ تَفْرِيْـجِ نَـائِبَـةٍ تَنـُوْبُ

---

[٥٠] أبوبكرالشنقيطي، *العملاق الكبير عبدالرحيم البرعي*، http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_304160.html، ٢٠١٣/١٠/١٢.

[٥١] ناظم عبدالملك سعيد الدبعي، عبد الرحيم البرعي؛الهائم في الذات المحمدية، http://www.algomhoriah.net/atach.php?id=17834، ٢٠١٣/٠٩/٠٩.

٧ وَمِـنْ كَرَمٍ وَمِـنْ لُـطْـفٍ خَـفِيٍّ ❋ وَمِــنْ فَــرَجٍ تَزُوْلُ بِهِ ٱلكُرُوْبُ

٨ وَمَنْ لِـيْ غَيْرَ بَــابِ اللهِ بَــابٌ ❋ وَلَا مَــوْلًا سِــوَاهُ وَلَا حَــبِيْبُ

٩ كَــرِيْمٌ مُنْعِــمٌ بَــرٌّ لَــطِيْفٌ ❋ جَمِيْــلُ السَّــتْرِ لِلدَّاعِيْ مُجِيْبُ

١٠ حَــلِيْمٌ لَا يُعَــاجِـلُ بِالْخَطَايَا ❋ رَحِـيْمٌ غَـيْثُ رَحْمَتِـهِ يَـصُوْبُ

١١ فَيَـا مَـلِكَ الْمُـلُوْكِ أَقِلْ عِثَارِيْ ❋ فَــإِنِّي عَنْــكَ أَنْأَتْنِي الذُّنُوْبُ

١٢ وَأَمْرَضَـنِي الْهَـوَى لِهَـوَانِ حَـظِّيْ ❋ وَلَـكِنْ لَيْسَ غَـيْرَكَ لِيْ طَـبِيْبُ

١٣ وَعَـانَـدَنِي الزَّمَـانُ وَقَـلَّ صَبْرِيْ ❋ وَضَـاقَ بِـعَبْـدِكَ الْبَـلَدُ الرَّحِيْبُ

١٤ فَـآمِـنْ رَوْعَتِيْ وَٱكْـبِتْ حَـسُوْدًا ❋ يُعَـامِلُنِي الـصَّدَاقَـةُ وَهُـوَ ذِيْبُ

١٥ وَعُـدِّ النَّائِبَــاتِ إِلَى عَــدُوِّيْ ❋ فَــإِنَّ النَّـائِبَـاتِ لَهَـا نُيُـوْبُ

١٦ وَآنِــسْنِــيْ بِــأَوْلَادِيْ وَأَهْــلِــيْ ❋ فَـقَـدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيْبُ

١٧ وَلِيْ شَـجَــنٌ بِأَطْفَــالٍ صِغَــارٍ ❋ أَكَــادُ إِذَا ذَكَرْتُــهُــمْ أَذُوْبُ

١٨ وَلَــكِنِّي نَبَــذْتُ زِمَــامَ أَمْــرِيْ ❋ لِـمَـنْ تَـدْبِيْرُهُ فِيْنَـا عَـجِيْبُ

١٩ هُوَ الــرَّحْمَــنُ حَـوْلِيْ وَاعْتِصَامِيْ ❋ بِــهِ وَإِلَيْـهِ مُـبْتَهِــلًا أُتِــيْبُ

٢٠ إِلَهِيْ أَنْتَ تَعْــلَمُ كَيْـفَ حَــالِيْ ❋ فَــهَـلْ يَا سَيِّدِيْ فَـرَجٌ قَـرِيْبُ

٢١ وَكَــمْ مُتَمَــلِّقٌ يَخْـفِيْ عِنَــادِيْ ❋ وَأَنْتَ عَـلَـى سَرِيْرَتِــهِ رَقِـيْبُ

٢٢ وَحَـــافَـــرَ حُـفْـرَةً لِـيْ هَارَ فِيْهَا ❋ وَسَهْمُ الْبَغْيُ يَدْرِيْ مَنْ يُصِيْبُ

٢٣ وَمُـمْتَنِعُ الْـقُوَى مُسْتَضْعِفٌ لِيْ ❋ فَـصُمْتُ قُـوَاهُ عَنِّي يَاحَسِيْبُ

٢٤ وَذِيْ عُـصْبِيَّةٍ بِالْـــمَكْرِ يَسْعَى ❋ إِلَيَّ سَعْـــيٌ بِـــهِ يَوْمٌ عُـصِيْبُ

٢٥ فَيَـــا دَيَّـــانَ يَـــوْمَ الدِّيْنِ فَرِّجْ ❋ هُـمُوْمًـــا فِي الْفُـــؤَادِ لَهَا دَبِيْبُ

٢٦ وَصِـلْ حَبْـلِيْ بِحَبْلِ رِضَاكَ وَانْظُرْ ❋ إِلَـيَّ وَتُبْ عَلَـيَّ عَسَى أَتُوْبُ

٢٧ وَرَاعِ حِـمَايَتِيْ وَتَـوَلَّ نَـصْـرِيْ ❋ وَشَدِّ عُرَايَ إِنْ عَرَتِ الْخُـطُوْبُ

٢٨ وَأَفْنِ عِدَايَ وَاقْـرُنْ نَجْـمَ حَـظِّيْ ❋ بِسَعْـــدِ مَـالِـطَالِعِـهِ غُـرُوْبُ

٢٩ فَـإِنَّ بِـذِكْـرِكَ الـدُّنْيَـا تَـطِـيْبُ ❋ وَأَلْـــهِمْنِيْ لِـذِكْرِكَ طُوْلَ عُمْرِيْ

٣٠ وَقُلْ عَبْـدُ الـرَّحِـيْـمِ وَمَـنْ يَلِيْهِ ❋ لَهُـمْ فِيْ رِيْـفِ رَأْفَتِنَـا نَـصِيْبُ

٣١ فَـــظَنِّي فِيْكَ يَـــا سَنَـدِيْ جَمِيْلٌ ❋ وَمَـــرْعَى ذَوْدِ آمَـالِيْ خَـصِيْبُ

٣٢ وَصَـلِّ عَلَـى الـنَّبِيْ وَآلِـهِ مَـا ❋ تَـرَنَّـمَ فِـي الْآرَاكِ الْـعَنْـدَلِيْبُ

فبعد، إن هذا الشعر في باب "قصيدة في التجاء إلى الله تعالى" من ديوان البرعي، فإنه أحد القصائد المميزة أكثر الناس يرغبون في استماع هذا القصيدة و فهم معانيه الجذابة، بعضهم ترجموا إلى اللغة الإندونيسية و اللغة الإنجليزية، حيث كان المعاني الحقيقة في وصول إلى المستمع لولا اللغة تفرق عنهم، و سيكون الشرح عنه بحثا مايلي:

أنعم الله على الإنسان بنعم كثيرة ولا تحصى، وَإِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوْهَا،[٥٢] وفرض على الإنسان أن يشكر نعم الله عليه، وشكر النعم ليس فقط بالإقرار بها فقط، ولكن بأداء حقها، وألا يكفر بهذه النعم الكثيرة، التى لا تعد ولا تحصى، ومن نعم الله على الإنسان نعمة المال ونعمة العقل على سبيل المثال لا الحصر، وكفر النعم يكون على نحويين، الأول هو إنكار النعمة بالكلية والجحود، وبوجودها من الأساس، والثانى هو عدم استعمال النعم فيما خصصت من أجله.

وبالتوضيح على نعمة المال، فإنكار أن الله أنعم بها على الإنسان هو أوضح أنواع كفر النعم بالنسبة لنعمة المال، أما النوع الثانى فهو البخل، وهو عدم استعمال المال فيما شرع، وخصص من أجله، وهو الإنفاق على متطلبات الحياة، وبالقياس على نعمة العقل، فإن الانغماس فى الصيغة الحيوانية والشهوانية هو إنكار لنعمة العقل، الذى ميز الله به الإنسان على سائر المخلوقات.

وهذا يمثل الكفر بنعمة العقل على النحو الأول، أما النوع الثانى وهو عدم استعمال العقل فيما خصص من أجله وهو التفكير والتدبر وإعقال الأمور وهو كفر بنعمة العقل، لهذا، فإن التكريس لمبدأ السمع والطاعة هو كفر بنعمة العقل لأنه يلغى عقل الاتباع ويأمرهم باتباع الأوامر دونما تفكير فيها الصالح منها والطالح، المتفق مع ما ينفعنا والمختلف معه. فلذا يقول الشاعر:

أَغِيْبُ وَذُو اللَطَائِفِ لاَ يَغِيْبُ ❋ وَأَرْجُوْهُ رَجَاءً لَا يَخِيْبُ

ابتدأ الشاعر القصيدة بكلمة الاعتراف يعبر تعبيرا واضحا عن الصفات البشرية، فإنهم كفروا بأنعم الله التي لاتحصوها، قليل الشكر كثير الطلب، مع أن

---

[٥٢] النحل: ١٨.

الله جعل الشمش ضياءا والقمر نورا يحيي حياة طيبة يعيش فيها فيضا للرحمن، فقال الشاعر بهذه الكلمة.

اتصف بها الشاعر إنفعالات البشرية الطبيعية بغافلهم، فإنهم يغيبون في كثير من الأوقات ليعبدو الله ويذكرو بها حضورا لله، بل إنه لطيف بعباده عليم بحائله، هو الذي يرجى راجيا وحده لاشريك له ولا سواه، استجاب لهم ربهم للذين يدعون له. عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ لاَ يَسْأَلَ رَبَّهُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ فَلْيَيْأَسُ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَلَا يَكُوْنُ لَهُ رَجَاءً إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ،[٥٣] فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه. فلا يذهب بعيدا إلى أن يقول:

وَأَسْـأَلُهُ السَّـلَامَـةَ مِنْ زَمَـانٍ ❋ بُـلِيْتُ بِـهِ نَـوَائِبُـهُ تُـشِيْبُ

من أراد أن تدوم له السلامة والعافية من غير بلاء فما عرف التكليف ولا أدرك التسليم، ولابد من حصول الألم لكل نفس سواء آمنت أم كفرت، والحياة مبنية على المشاق وركوب الأخطار ولا يطمع أحد أن يخلص من المحنة والألم، والمرء يتقلب في زمانه في تحول النعم واستقبال المحن، يبتلى المؤمن ليهذب لا ليعذب، فتن في السراء ومحن في الضراء، والمكروه قد يأتي بالمحبوب، والمرغوب قد يأتي بالمكروه، فلا تأمن أن توافيك المضرة من جانب المسرة، ولا تيأس أن تأتيك المسرة من جانب المضرة.

فبهذا يحدد الشاعر بأن الله مسؤول لسائر الأمور طوال العمر، أنفاذ عبده من المصائب التي تأتي ليسود القلب ويسيء الحياة، فيصبح لهم مظلمة والداكنة، تحرمنا من العمر المتوقع عند الولادة، وحتى يتردد الرجال في العيش عاجزا لتلك المشكلة، ثم من الذي يتضمن سلامة الإنسان ويشكوا على هذا الطريق، حيث يقول:

---

[٥٣] محمد صالح المازندراني، *شرح أصول الكافي*، *مجلة التاسعة*، ج ٩ ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م)، ص ٣.

وَأُنْـزِلُ حَاجَتِيْ فِيْ كُـلِّ حَــالٍ ❋ إِلَى مَــنْ تَـطْمَئِنُّ بِـهِ ٱلْقُلُوْبُ

وإن الناس في حاجة إلى تطبيق شرع الله تعالى تفوق حاجتهم إلى ما يقيم صلبهم من طعام وشراب، فكما يعنى الحكام بتوفير الأمن والاستقرار والرفاهية لشعوبهم ودفع الجهل والفقر والمرض عنهم ، فلزم عليهم كذلك أن يعنوا بإقامة شرع الله بينهم ، وتمكينهم من العمل به، وإلا فسلبية العمل بغير ما أنزل الله ومضارها ستنتهي بهم إلى عواقب وخيمة، تفقدهم الحياة السعيدة التي هي وسيلة إلى السعادة في الآخرة، لأنهم سيحيون حياة بؤس وشقاء وفراغ روحي.

فلا بد للتعبير عن كل الآمال والرغبات، والمثل العليا مستوى الحياة السعيدة، وهو أساس كل الأشياء المختاجة، هو الوحيد الذي يهدئ القلب تلطفا، وتوفير ابتسامة الأمن، فالقلب هو أهم الأجهزة في الجسد التي تلعب دورا ضروريا في تلك الحالة، فلو كان القلب سليما لكان الكل صالحا. فاليقل:

وَلَا أَرْجُــو سِــوَاهُ إِذَا دَهَــانِي ❋ زَمَانُ الْجوْرِ وَالْجَارُ ٱلمـرِيْبُ

فلو كان القلب سليما لزمه أن يتعرف بحقوق الجيران تنبع أساساً من الشّريعة الإسلاميّة، ثم التّقاليد والعادات، ومع ذلك، لا يستطيع أحد أن ينكر تعرّض هذه العلاقات لتدهور سريع في هذه الأيّام، يبدأ من القطيعة التامّة، ويصل إلى الشّجار والتّحاسد والتّباغض والعدوان، وكثيراً ما نرى صوراً محزنة لما آلت إليه علاقات الجيران، فيحدث أن نُفاجأ بموت جار دون أن يشعر به أحد الجيران، وتمرّ عليه الأيّام ميتاً.

فلا تدلّ عليه إلا رائحة كريهة تنبعث من شقّته، كما لا تخلو بعض هذه العلاقات من الرّغبة في التجسّس والاطّلاع على الأسرار والغيبة والنّميمة، حتّى أصبحت الجيرة الطيّبة شيئاً نادراً في هذه الأيّام.

وهذا التّدهور في العلاقات بين الجيران، هو جزء من مشكلة عامّة تهتك العلاقات بين الأرحام، ويرجع ذلك إلى طبيعة الحياة المعاصرة، وغلبة المصالح

الشخصيّة والماديّة، والأخطاء التربويّة الّتي يقع فيها الآباء،كما نجد لوسائل الإعلام تأثيراً في العلاقات بين الجيران، فهي تخلق مزيداً من التطلّعات، ومن ثم ينشأ التّكالب.

ورغم ذلك، يظلّ مدى التزام الإنسان بالدّين هو المرجع المحدّد لتطوير علاقة الإنسان بجيرانه وأهله. ويقول النبيّ (ص): إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، اَلْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ،[٥٤] وتؤكّد خاطر أنَّ رابطة الجوار لها دورها العظيم في بناء الحياة الاجتماعيّة بناءً سليماً، لأنها تأتي في المرتبة الثّانية في النّسيج الاجتماعيّ بعد رابطة الأسرة، ولهذا نجد في التّشريع الإسلاميّ عناية خاصّة بهذه الرّابطة، ونجد أنّ الله تعالى قرن حقّ الجار مع حقّ عبادته مع حقّ الوالدين وذي القربى والمساكين، وفي ذلك دلالة صريحة على أهميّة حقّ الجوار في الإسلام.

فَكَـمْ لِلَّـهِ مِـنْ تَدْبِـيْرِ أَمْـــرٍ ❁ طَـوَتْـهُ عَنِ الْمُشَاهَدَةِ الْغُيُوْبُ

والله خالق كل شيء وهو بكل شيء عليم فكل ما في الكون من إنس وجان وملائكة وطير وحيوان ونبات وجماد وما علمناه ورأيناه من المخلوقات، وما لم يصل إليه علمنا و لم تدركه حواسنا، كل ذلك مخلوقات مربوبة لله وخلق الأعراض التي تعرض لها وكلها معلومة له على وجه الدقة و التفصيل، وإنما نعلم نحن منها فقط مقدار إدراك حواسنا وعقولنا ومقدار ما أتيح لنا رؤيته و معرفته.

فالمخلوقات قدراتها محدودة وهي محصورة في الحدود التي جعلها الله من مكان وأعراض تعرض لها كالنوم و المرض و الغفلة و الموت و غير ذلك و أيضا من قصور بطبيعة كونها مخلوقات مربوبة والكمال لله وحده، فالله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

وَكَمْ فِي الْغُيْبِ مِنْ تَيْسِيْرِ عُسْرٍ ❁ وَمِنْ تَفْرِيجِ نَـائِبَـةٍ تَنـــوْبُ

---

[٥٤] شيخ الألباني، *صحيح الجامع الصغير*، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م)، ص ٣٠٢٩.

ألا وهي أن مع العسر لابد أن ياتي اليسر بلطف وخفاء يؤكد لنا معنى اسم الخالق اللطيف الذي يوصل عباده لأقدارهم بلطف عجيب لاتدركه العقول. وقد قال تعالى : إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً، [٥٥] ولم يقل بعد العسر يسرا تأكيدًا على أن العسر لابدَّ أن يجاوره يسر، فالعسر لا يخلو من يسر يصاحبه ويلازمه، وكل الحادثات وان تناهت فموصول بها فرج قريب.

ففي بطن العسر إلا وهناك يسر كثير وهذا وعد الله وسنته في عباده، وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : أَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكُرَبِ،[٥٦] وكلما اشتدت الأزمة كلما كان ذلك إيذانًا بانقضاءها وزوالها، وما بعد الضيق إلا الفرج، وكما أنه لا يعرف انشراح الصدر إلا من ركبه الهم والضيق، فكذلك لا يعرف الفرج إلا من ناله الكرب، فبضدها تتبين الأشياء.

وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ ❁ وَمِنْ فَرَجٍ تَزُوْلُ بِهِ الْكُرُوْبُ

والله لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم، وعلمت أن أبواب الرحمة قد فتحت وأن هذا النور رمز ذلك، وفعلا أزال الله الكرب وحقق الفرج بكرامة، هذه الصيغة المباركة للصلاة علي النبي، فإذا كان هذا الحزن بهذه الخطورة، وبهذه المكانة من الخطورة، ويمثل هذا الكرب أقصى درجات الحزن فإن على المسلم أن يتنبه لمثل هذا، وأن يسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفس همه، وأن ينفس كربته حتى لا يستمرئ الحزن فيعتاد عليه.

لأنه إذا تطور الحزن فوصل إلى مرحلة الكرب فإنه يصبح صفة ، وسمة في ابن آدم يصعب عليه بعدها أن يتخلص منه، ثم يتذكر العبد أن له ربا كريما غنيا واسع الفضل والعطاء فليرجع إلى ربه سبحانه، ماأصاب أحدا قط هم ولا حزن

---

[٥٥] العصر: ٦.

[٥٦] محمد راتب النابلسي، *خطبة الجمعة*، http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=1026 &id=44&sid= 46&ssid=48&sssid=49، ٢٠١٣/١٢/٢.

فقال إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحا، فلا ينجي الكروب إلا الله، ولا يزيل الهموم إلا الله.

ثم إن على المسلمين أن يتقوا الله سبحانه وتعالى في إخوانهم المكروبين وأن يفرجوا همومهم، وان ينفسوا كروبهم، وأن يقفوا معهم يزيلوا ما أصابهم من هم وغم. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب. فالاستغاثة تكون من مكروب، مثل إنسان واقع في كرب فيستغيث ويستجير ويطلب إزالة هذا الكرب ورفع هذه الشدة عنه، والدعاء أعم من الاستغاثة؛ لأنه يكون من الإنسان في وقت البلاء وفي وقت الرخاء، والاستغاثة من أنواع الدعاء.

وَمَنْ لِيْ غَيْرَ بَابِ اللهِ بَابٌ ❁ وَلَا مَوْلًا سِوَاهُ وَلَا حَبِيْبُ

يرجو أن تكون محبة الناس، ولا سيما أهل الخير منهم، دليلا على محبة الله تبارك وتعالى، فهو الذي وضع له القبول في قلوب عباده، وستر قبيحه، وأظهر جميله، وقد قال تعالى: إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَنُ وُدّاً،[٥٧] فهو يرجو أن يكون منهم، فإن من أحبه تعالى جعله محبوبا في قلوبهم. أن يكون أكبر همه حب الله تعالى، ورضاه سبحانه عنه، ولا يبالي أرضي الخلق عنه أم سخطوا، أحبوا أم كرهوا.

كَرِيْمٌ مُنْعِمٌ بَرٌّ لَطِيْفٌ ❁ جَمِيْلُ السَّتْرِ لِلدَّاعِيْ مُجِيْبُ

لا ريب أن ستر العيوب نعمة من نعم الله الجليلة على عِبادِه، فلو أنه عزَّ وجَلَّ أبْدَى عُيُوب الخلق لفَضَحَهم وهَتَك أسْتارَهم وكَشفَ عوراتهم، ولكنه جلَّ جلالُه أرحمُ الراحِمين، ويُمهِلُ العاصي والشاردَ والغافل، فلا يريد أن يَفضَحَ عباده

[٥٧] مريم: ٩٦.

بل يريد أن يتوبَ عليهم ليتوبوا، فَإِنَّ اللهَ هُوَ التوَّابُ الرَّحِيْمِ".[٥٨] فإن تابوا وأنابوا عفَا عنهم وصفح، فغَفرَ سيئاتهم وتجاوز عن هفواتِهم.

ومن الناس يعلمُ رحمةَ الله الواسعة في إخفاءِ الذنوبِ وسَترِ العيوب، ويقدرها حقَّ قَدرِها، فالله أرحمُ بالعبد من نفسِه، فكم مِن مَوضعٍ للمعصيةِ تهافتَ العبدُ عليه ورمَى الأخرقُ نفسَه فيه، سَترَه الله عزَّ وجلَّ عليه. وقد قارفَ المنكرات وأوقعَه هَواه في الزلاتِ. ومن لطفِ اللهِ ورحمتِه الواسعة، أنه لم يقصر هذا الستر على العبدِ في الدنيا فحسب؛ بل شملت رحمتُه الدنيا والآخرة.

وكما روى البخاري رحمه الله، قال الله تعالى أنه مجيب، أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِيْ إِذَا دَعَانِيْ،[٥٩] يقول الله عز وجل إنى لأجدنى أستحيي من عبدى يرفع إلى يديه يقول يارب يارب فأردهما فتقول الملائكة إلى هنا إنه ليس أهلا لتغفر له فأقول ولكنى أهل التقوى وأهل المغفرة أشهدكم إنى قد غفرت لعبدي.

حَـــلِيْمٌ لَا يُعَـاجِـلُ بِالْخَطَايَا ❁ رَحِيْمٌ غَيْثُ رَحْمَتِهِ يَـصُوْبُ

فالله لا تستعجل وقوع العذاب بهم، فإن الله حدد له أجلا معينا معدودا، فإذا انتهى ذلك الأجل جاءهم العذاب، فقوله : إِنَّمَا نُعِدُّ لَهُمْ عِدًّا،[٦٠] أي نعد الأعوام والشهور والأيام التي دون وقت هلاكهم، فإذا جاء الوقت المحدد لذلك أهلكناهم.

فأمره الله بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فإنه نازل لا محالة، وسيرون ما وعودا به من العذاب في الآخرة حتى وإن لم ينالهم العذاب في الدنيا، وهذا القرآن تبليغ من الله إليكم ولا يهلك عند رؤية العذاب إلا القوم الفاسقون أي الكافرون.

---

[٥٨] البقرة: ١٦٠.

[٥٩] البقرة: ١٨٦.

[٦٠] مريم: ٨٤.

فهذا ليس أن الله سمح للشر أن يمر بدون عقاب، نظراً لرغبته في خلاص الخاطئ، فإنه لو سامحه هكذا بدون كفارة، لما كان الله في هذه الحالة قد تصرف بالبر مع الخطاة، لكن الصليب أظهر بر الله في إدانة الخطية، وأيضاً في تبرير الخاطئ. قد كان الإنسان محتاجاً للتبرير، وما كان يمكن لله أن يُبرَّر الأثيم إلا على أساس العدل، فمسائل العدالة لا تسيرها الخواطر، بل العدالة. ومن هنا كانت حتمية الكفارة، وعن طريق الصليب: الله تبرر والإنسان الخاطئ تبرر.

فَيـَا مَـلِكَ الْمُـلُوْكِ أَقِلْ عِثَارِيْ ❋ فَــإِنِّي عَنْـكَ أَنْـأَتْنِي الذُّنُوْبُ

هو المالك المتصرف في خلقه، فيحيي ويميت، حين تقع في المعصية وتلم بها فبادر بالتوبة وسارع إليها، وإياك والتسويف والتأجيل فالأعمار بيد الله عز وجل، فإذا تاب إليه فقد أستدعى منه ما هو أهله وأولى به، فرح الله بتوبة عبده أعظم من فرح الواجد لراحلته في الأرض المهلكة بعد اليأس منها، لأن إذا أغضبه العبد بمعصيته فقد أستدعى منه صرف تلك الرحمة عنه.

لقد كان العارفون بالله عز وجل يعدون تأخير التوبة ذنبا آخر، ينبغي أن يتوبوا منه، قال العلامة ابن القيم أن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه التوبة من التأخير، وقل أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده انه إذا تاب من الذنب لم يبقى عليه شيء آخر.

ومن موجبات التوبة الصحيحة كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء ولا تكون لغير المذنب، تكسر القلب بين يدي الرب كسرة تامة، قد أحاطت به من جميع جهاته وألقته بين يدي ربه طريحا ذليلا خاشعا، فمن لم يجد ذلك في قلبه فليتهم توبته، وليرجع إلى تصحيحها. فما أصعب التوبة الصحيح بالحقيقة، وما أسهلها باللسان والدعوى، فإذا تكرر الذنب من العبد فليكرر التوبة.

وَأَمْرَضَنِي الْهَوَى لِهَوَانِ حَظِّيْ ❋ وَلَكِنْ لَيْسَ غَيْرَكَ لِيْ طَبِيْبُ

لأن النفس الإنسانية إذا لم تكن عامرة بالإيمان بالله تعالى وحده خاضعة لشريعته، مزقتها الأهواء والشهوات، وأورثتها الخلل والاضطراب والحيرة والفزع وباتت على شفا جرف هار يوشك أن ينهار بها في مهاوي الهلكة والخسران. فهذا من الأمراض قال الله تعالى فيها: " فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً.[٦١]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى بأن مرض القلب ينقسم إلى قسمين إما مرض شبهة وإما مرض شهوة،[٦٢] استطاع الأطباء أن يكتشفوا الدواء الشافي بإذن الله تعالى لكثيرٍ من الأمراض المستعصية التي ما كانت تُعرف في تاريخ الطب القديم، فضلاً عن غيرها من الأمراض التي أصبحت بفضل الله تعالى في نظر الأطباء أمرًا سهلاً ميسورًا لا يحتاج لعلاجها طبيب متخصص بلغ في الطب درجة عالية رفيعة.

بل يكفي لعلاجها بإذن الله تعالى أقل المهتمين بهذا العلم الجليل. ويعتبر علم الطب من العلوم المهمة في الحياة البشرية، وبتطبيقه تتحقق كثير من المصالح العظيمة والمنافع الجليلة، التي منها حفظ الصحة، ورفع ضرر الأسقام والأمراض عن بدن الإنسان، فيتقوى المسلم بذلك على طاعة ربه تعالى ومرضاته، فالله هو أعظم لطبيب يعالج كل الأمراض.

وَعَانَدَنِي الزَّمَانُ وَقَلَّ صَبْرِيْ ❋ وَضَاقَ بِعَبْدِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيْبُ

فوطن نفسك على المصائب قبل وقوعها ليهن عليك وقوعها ولا تجزع بالمصاب فللبلايا أمد محدود عند الله، ولا تسخط بالمقال فرب كلمة جرى بها اللسان هلك بها الإنسان. والمؤمن الحازم يثبت للعظائم ولا يتغير فؤاده ولا ينطق بالشكوى لسانه، وخفف المصاب على نفسك بوعد الأجر وتسهيل الأمر لتذهب المحن بلا شكوى.

---

[٦١] البقرة: ١٠.

[٦٢] محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، *إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان*، (بيروت: دار المعرفة ، ١٩٧٥م) ، ص ١٥٥.

ومازال العقلاء يظهرون التجلد عند المصاب لئلا يتحملوا مع النوائب شماتة الأعداء، والمصيبة إن بدت لعدو سرَّ بها وفرح، وكتمان المصائب والأوجاع من شيم النبلاء، فصابر هجير البلاء فما أسرع زواله، وغاية الأمر صبر أيام قلائل، وما هلك الهالكون إلا من نفاذ الجلد، والصابرون مجزيون بخير الثواب.

فَآمِـنْ رَوْعَتِيْ وَاْكبِتْ حَـسُوْدًا ❋ يُعَامِلُنِي الـصَّدَاقَةُ وَهُـوَ ذِيْبُ

وفي ظل الأمن والأمان تحلو العبادة ويصير النوم ثباتاً والطعام هنيئاً والشراب مريئاً وهو مطلب الشعوب كافة، والأمن هبة من الله لعباده ونعمة يغبط عليها كل من وهبها ولا عجب في ذلك فقد قال الله: فَلْيَعْبُدُوْا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِيْ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوْعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ،[٦٣] إن نعمة الأمن والاستقرار لمن أعظم النعم التي يظفر بها الإنسان فيكون آمناً على دينه أولاً ثم على نفسه وعلى ماله وولده وعرضه بل وعلى كل ما يحيط به، ولا يكون ذلك إلا بالإيمان والابتعاد عن العصيان، لأن الأمن مشتق من الإيمان والأمانة وهما مترابطتان.

وكذلك لا يطغى عليه جانب الخوف حتى ييأس من رحمة الله، فإن اليأس من رحمة الله كفر، لا حياة بدون أمن، ولا أمن بدون إيمان، فالحياة والأمن والإيمان كل منها يكمل الآخر، فالأمن من ثمرات الإيمان، والحياة لا تكون حياة بالمعنى الصحيح بلا إيمان. فالإيمان هو القاعدة الصلبة التي يرتكز عليها كل معنى لحياة الإنسان في الدنيا والآخرة، والأمن مطلب لكل إنسان لكي يعيش بعيداً عن الخوف مطمئن النفس والقلب.

وإذا أردت الحق علمت أن الصداقة والألفة والاخوة والرعاية والمحافظة قد نبذت نبذا ورفضت رفضا، ووطئت بالاقدام ولويت دونها الشفاه، وصرفت عنها الرغبات، ويعتبر الإسلام الحب في الله هو أعظم أنواع الصداقة بين الناس، والحب في الله هو أن تكون المحبة خالصة لله.

---

[٦٣] قريش: ٣-٤.

وَعُـدِّ النَّائِبَـاتِ إِلَى عَـــدُوِّيْ ❋ فَـإِنَّ الَّـائِبَاتِ لَهـَا نُيُـــوْبُ

ذلك أن الإنسان لابد له أن يتعامل مع الناس ويعيش بينهم، ويجب عليه في نفس الوقت أن يعيش بمنهج الإسلام موحدا لله عز وجل مطبقا لحدوده، ولكن كثيرا من الناس حوله ينحرفون ويفجرون ويظلمون ويتعدون حدود الله تعالى، ومن هنا كان على المسلم أن ينكر ذلك وأن يغيره ويحارب تلك المنكرات والمخالفات وأن يظهر دين الله عز وجل، فيسعى بينهم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحيي الإسلام ويجاهد لإقامته في الحياة فينزعج الناس الغافلون والمنحرفون منه ويتضايقون.

وهذه المشاكل لا تزول إلا بالأدوية الإيمانية النبوية، نسأل الله تعالى أن يمن علينا بشفاء قلوبنا وصحة أبداننا وذهاب أسقامنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وبغض إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، أما سبل الوقاية والعلاج هي ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، الاستغفار والتوبة النصوح، الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، قيام الليل وكثرة مناجاة الله تعالى، وتجنب مواطن الفتن ومحاضن الفساد.

وَآنِـسْنِـيْ بِأَوْلَادِيْ وَأَهْـــلِـيْ ❋ فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيْبُ

شوفو أهمية الحب وعظمته الحب، كلمة صغيرة في مبناها، لكنها كبيرة في معناها، الحب أقوي عاطفة تستكن بين جوانح الإنسان، متى ما تفجرت دفعته للعطاء والبناء والنماء، الحب كما قيل يحول المر حلواً، والتراب تبراً، والألم شفاءً، والسجن روضة، والسّقم عافيةً، والقهر انشراحاً وغبطة، ومجتمع لا تقوم علاقاته على المحبة المتبادلة يتحول إلى آلة صماء ليس فيها إلا الضجيج، يتحول إلي جحيم لأنه مجتمع الأنانية، مجتمع الكراهية.

لو ساد الحب ما احتاج الناس إلى القانون، والأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع، لهذا كان الحب جوهراً أساسياً في نجاحها، حياة الزوجين لابد أن يعمرها

الحب الصادق، الحب المتبادل، حب قلبي يظهر على السلوك العملي، ابتداءً من الابتسامة الصادقة، وانتهاءً بتحمل أعباء الحياة الثقيلة. وكثيراً ما تكون مشاعر المحبة موجودة في أعماق الزوجين، لكن حتى تزدهر الحياة الزوجية، يجب علي كل واحد منهما أن يفصح عما في نفسه من محبة تجاه الآخر، بالكلمة الجميلة ، الهدية اللطيفة والمفاجأة السارة، وبكل ما يعرفه الأذكياء من فنون كسب القلوب، بهذه المصارحة العملية للمشاعر المتبادلة نكسر الروتين الممل في حياتنا ونجدد التواصل بين قلبينا.

إن الحب ينقسم إلي نوعين : حب الذات وحب الصفات، وعلى العاقل أن يتجاوز حب الذات إلى حب الصفات، والرسول الكريم بين لنا أن المرأة تنكح لأربع وذكر منها الجمال ، ولكنه قال : فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّيْنِ تَرْبُتْ يَدَاكَ،[٦٤] لأن الجمال الحسي عمره محدود، وثانياً لأن الإنسان يألف الجمال المحسوس ويشبع منه، أما الذي يبقي فهو الجمال المعنوي ، الدين، الخلق، القيم، وعلى هذا تُبنى الأسر المتماسكة، فلو لا تتكّون تلك الأسرة محبة لكان غريبا وحده.

وَلِيْ شَجَنٌ بِأَطْفَالٍ صِغَارٍ ❋ أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُهُمْ أَذُوْبُ

فإن الله عز وجل بحكمته البالغة، وحجته القاطعة، وعلمه المحيط بكل شيء، يبتلي عباده بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، وبالنعم والنقم، ليمتحن صبرهم وشكرهم، فمن صبر عند البلاء، وشكر عند الرخاء وضرع إلى الله سبحانه عند حصول المصائب، يشكو إليه ذنوبه وتقصيره ويسأله رحمته وعفوه، أفلح كل الفلاح وفاز بالعاقبة الحميدة.

وَلَكِنِّي نَبَذْتُ زِمَامَ أَمْرِيْ ❋ لِمَنْ تَدْبِيْرُهُ فِيْنَا عَجِيْبُ

---

[٦٤] ابي عبد الله محمد اسماعيل البخاري، صحيح *بخاري*، (رياض: بيت الأفكار الدولية للنشر، ١٩٩٨م)، ص ١٣٣.

فانظروا كيف بدأ الله الخلق، فإن التفكير والتدبر فى الأمور هو فرض من فرائض الإسلام، فرضها الله على المسلمين، انظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم، ناهيك عن الأسئلة بالهمزة والاستنكار، أفلا تعقلون و"أفلا تتدبرون.

فليس الأغلاط أن يعتمد القلب على الله، فهو أمر ضروري وواجب في كل أمر من الأمور، ولا يتحقق التوكل الواجب إلا بذلك، فحقيقة التوكل إنما هي ما استقر في القلب من علم وعمل، يخبر تعالى أنه عالم السماوات والأرض وأنه إليه المرجع والمآب، وسيؤتي كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر، فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه.

فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه، هو الذي خلق الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها، بأنه خالق الأشياء كلها كما خلقهم، وأردف بنفي الإلهية عن غيره.

هُوَ الرَّحْمَنُ حَوْلِيْ وَاعْتِصَامِيْ ❋ بِـــهِ وَإِلَيْـهِ مُـبْتَهِـلًا أُتِـــيْبُ

فإن الله يشمل حيات العبد والمسؤول في حفظه، ذات قدرة لابد أن يتوب إليه لا غيره، فبعد التوبة أن يكون العبد خيراً مما كان قبلها، ألا يزال الخوف من العودة إلى الذنب مصاحباً له، أن يستعظم الجناية التي تصدر منه وإن كان قد تاب منها، وقال بعض السلف: لاَ تَنْظُرْ إِلَى صُغْرِ الْمَعْصِيَةِ وَلَكِنَّ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ،[٦٥] وأن تحدث التوبة للعبد انكساراً في قلبه وذلاً وتواضعاً بين يدي ربه، وأن يحذر من أمر جوارحه ومن أمر لسانه فيحفظه من الكذب والغيبة والنميمة وفضول الكلام، ويشغله بذكر الله تعالى وتلاوة كتابه. ويحذر من أمر بطنه، فلا يأكل إلا حلالاً.

[٦٥] القعود، *لا تنظر لصغر المعصية ولكن أنظر لعظمت من عصيت*، *مجلة نسائية اليومية السعودية*، شبكة الحياة، ٢٠١٣.

إن علامة قبول الطاعة أن يوفق العبد لطاعة بعدها وإن من علامات قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، وحب الطاعة وكره المعصية وأن يحبب الله في قلبك الطاعة فتحبها وتأنس بها وتطمئن إليها.

إِلَهِيْ أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَالِيْ ❋ فَهَلْ يَا سَيِّدِيْ فَرَجٌ قَرِيْبُ

لما كان الصبر حبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله، والقلب عن التسخط، والجوارح عن اللطم، وشق الثياب، ونحوها، كان ما يضاده واقعًا على هذه الجملة، فمنه الشكوى إلى المخلوق، فإذا شكى العبد ربه إلى مخلوق مثله فقد شكى من يرحمه إلى من لا يرحمه، ولا تضاده الشكوى إلى الله كما تقدم في شكاية يعقوب إلى الله، مع قوله: فَصَبْرٌ جَمِيْلٌ.[٦٦]

وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل إلى زوال ضرورة لم يقدح ذلك في الصبر، كإخبار المريض للطبيب بشكايته، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله، وإخبار المبتلى ببلائه لمن كان يرجو أن يكون فرجه على يديه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل على المريض يسأله عن حاله، ويقول بكيف تجدك، وهذا استخبار منه واستعلام بحاله.

وَكَمْ مُتَمَلِّقٌ يَخْفِيْ عِنَادِيْ ❋ وَأَنْتَ عَلَى سَرِيْرَتِهِ رَقِيْبُ

الإنسان يحتاج إلى الله فى كل أموره، للسلم، للسعادة، وللوجود ذاته. هناك أوقات صعبة بحياة كل إنسان تسبب في حزن عميق يصل إلى الأعماق يشعر خلالها برغبة قوية في البكاء، وقد يفقد السيطرة على دموعه فتهطل مثل الأمطار، رغم رغبته في إخفائها عن عيون الناس حتى لا يثير شفقتهم عليه لكن تستمر مسيرة الدموع.

---

[٦٦] يوسف: ١٨.

إن الله كمان عليكم رقيباً، شعار لو حمل في حياة الإنسان لتغيرت أمور كثيرة في حياتنا راعي في صحراء بعيدة في مكان بعيد لا يراه فيه أحد، يراقب الله سبحانه وتعالى في تصرفاته وحركاته يطلب منه شيء من قطيعه الذي يرعاه، إذا راقب عبداً فإن هذه المراقبة ليست للعذاب، هذه المراقبة ليست فقط للإحصاء إنما هذه المراقبة لتشكر ولتحمد الله يراقب، ولكن بلطف الله يراقب برحمة الله، يراقب سبحانه وتعالى بحلم الله عزّ وجل رقيب علينا سبحانه وتعالى.

وَحَـافَـرَ حُـفْـرَةً لِـيْ هَارَ فِيْهَا ❋ وَسَهْمُ الْبَغْيُ يَدْرِيْ مَنْ يُصِيْبُ

قضى اللهُ أن البغي يصرعُ أهلَه وأن على الباغي تدور الدوائرُ ومن يحتفر بئراً ليوقِعَ غيرَه سيُوقع في البئر الذي هو حافرُ وانتشرت بين العرب أمثال تؤكد ذلك، فقيل من حفر بئراً لأخيه وقع فيها، وقيل: رُبَّ حِيْلَةٍ كَانَتْ عَلَىَ صَاحِبِهَا وَبِيْلَةٌ، وقالت العجم: مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، ولهم: مَنْ أَوْقَدَ نَارَ الْفِتْنَةِ اِحْتَرَقَ بِهَا.[٦٧]

يضرب هذا المثل في الشخص الذي يحاول أن يخدع صاحبه، فينقبل فعله الدنئ ضده. وكذا بالعصيان يسعى له الرجل، وهو تكبر عن أداء حقه، وأصر على كفره وعصيانه، فقد توعده سبحانه بأنواع العقوبات في الدنيا والآخرة، وعجل له من ذلك ما اقتضته حكمته ليكون عبرة وعظة لغيره، وكما قال: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.[٦٨]

وَمُـمْتَنِعُ الْقُوَى مُسْتَضْـعِفٌ لِيْ ❋ فَـصُمْتُ قُـوَاهُ عَنِّي يَاحَسِيْبُ

أنه سبحانه قدر ما قدر من الحسنات والسيئات وما ظهر من الفساد، ليرجع الناس إلى الحق، ويبادروا بالتوبة مما حرم الله عليهم، ويسارعوا إلى طاعة الله ورسوله، لأن الكفر والمعاصي هما سبب كل بلاء وشر في الدنيا والآخرة. وأما

---

[٦٧] عبد الرحمن البر، *ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله*، http://www.alabaserah.com/news.php? Newsid =1538، ٢٠١٣/١٢/٣

[٦٨] الشورى: ٣٠.

توحيد الله والإيمان به وبرسله، وطاعته وطاعة رسله، والتمسك بشريعته، والدعوة إليها، والإنكار على من خالفها فذلك هو سبب كل خير في الدنيا والآخرة، وفي الثبات على ذلك والتواصي به والتعاون عليه، عز الدنيا والآخرة، والنجاة من كل مكروه، والعافية من كل فتنة، في ذلك لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

وَذِيْ عُــصْبِيَّةٍ بِالْــمَكْرِ يَسْعَى ❋ إِلَيَّ سَعْـيٌ بِــهِ يَوْمٌ عُــصِيْبُ

تلاحظ أن المكر أضيف إلى السوء، وهذا يوضح أن المكر من حيث هو لا يذم ولا يمدح إلا بالنظر في عاقبته، فإن كان المكرُ لغاية صحيحة فهو ممدوح، وإلا فلا. أبى اللهُ أنْ يقعَ في البئر إلا من حفر، وألا يحيق المكر السيئ إلا بمن مكر، وما من يدٍ إلا يدُ اللهِ فوقهـا ولا ظالمٍ إلا سيُبْلى بظالِم، أصحاب المكر السيئ يُقدمون على مكرهم من أجل أن يحققوا مصالحهم المادية، ويحصلوا على العلو في الدنيا.

لكن الله تعالى قضى عليهم بالخسران المبين، وبالمكانة السفلى في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه مبيناً النتيجة التي جناها قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام الذين مكروا به فقرروا حرقه: قُلْنَا يَا نَارُ كُوْنِيْ بَرْداً وَسَلَاماً عَلىَ إِبْرَاهِيْمِ، وَأَرَادُوْا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِيْنَ.[٦٩]

فَيَــا دَيَّـانَ يَــــوْمَ الدِّيْنِ فَرِّجْ ❋ هُـمُوْمًا فِي الْفُـؤَادِ لَهَا دَبِيْبُ

لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكما ، كملكهم في الدنيا، ويوم الدين يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، إلا من عفا عنه. وأمر عباده بالتوبة إليه، والضراعة إليه عند وقوع المصائب. فالهموم أن بعضها دنيوي، وبعضها أخروي، فمن الهموم الدنيوية وما أكثرها: همّ الدراسة، الرزق والوظيفة، حاجات الأسرة، أعطال السيارة، مشاكل الأبناء، وأخبار الفريق الكروي.

---

[٦٩] الانبياء: ٦٩.

ومن الهموم الأخروية هي أحوال المسلمين، عذاب القبر، أهوال القيامة، المصير إلى الجنة أو إلى النار، تربية الأبناء، كيفية القيام بحقوق الوالدين، هم الدَين وسداده للخلوص من حقوق العباد. الإنسان يعيش في وسط هذه الهموم، إذ الدنيا معاشنا، والآخرة معادنا، فكل منها مصلحة للإنسان يود لو كفيها، لكن ينبغي على المسلم أن يعطي كلاً من الدنيا والآخرة قدرها، فيتخفف من شواغل الدنيا وهمومها، ويجعل همّه وشغله في مسائل الآخرة.

وَصلْ حَبْلِيْ بِحَبْلِ رِضَاكَ وَانْظُرْ ❋ إلَـيَّ وَتُبْ عَلَـيَّ عَسَى أَتُوْبُ

الاعتصام بحبل الله وهو ما جاء به رسول الله من كتاب وسنة وما حوته تعاليم الرسول من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات ، فلا يسع مسلماً لا فرداً من أفراد المسلمين ولا طائفة من طوائف المسلمين ولا مجتمعاً من المجتمعات الإسلامية ولا حاكماً ولا محكوماً الخروج عن شيء من أصول الإسلام أو فروعه. بل يجب على الجميع الإيمان والالتزام الكامل بكل ما جاء به خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وتقديمه على كل قول وهدي.

والاحتكام إلى ما جاء به الرسول في كل شأن وتجريد الطاعة والمتابعة لرسول الله في صغير أمور الدين وكبيرها، ومجانبة كل بدعة ورأي ومعصية وبذلك لا بغيره يجتمع شمل المسلمين وتقوم وحدتهم المنشودة ويصدق عليهم جميعاً أنهم معتصمون بحبل الله وهذا الواقع هو الذي يريده الله وكلف به الأمة الإسلامية لا الوحدات السياسية مع اختلاف العقائد والمشارب والاتجاهات.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله قال :" إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثاً : يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوْهُ، وَلَا تُشْرِكُوْهُ بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعاً وَلَا تَفَرَّقُوْا، وَأَنْ تُنَاصِحُوْا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمرَكُمْ، – وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثاً – قِيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالْ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ."[٧٠]

[٧٠] محمد بن عبد الباقي بن الأزهري، *شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك*، (مصر: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٣م)، ص ١٨١٦.

وَرَاعِ حِـمَايَتِيْ وَتـَوَلَّ نَـصْرِيْ ❋ وَشَدِّ عُرَايَ إِنْ عَرَتِ الْخُطُوْبُ

كثير من الناس يُعانون من حالة الخوف الدائم من المستقبل، ويعيشون كوابيس مصدرها "ماذا لو"، اكتفي بحاضرك وعشه بخيره وشره حيث أن الله لا يبتلي شخصاً إلا أنزل به رحمة ولطفاً، وسوف تجد أن بعض أحداث حياتك الصعبة لو كنت علمتها قبلها لظننت أنك لن تحيا بعدها يوماً واحداً، فلا تشغل بالك بما لم تُحط به علماً.

لا تنسى أن اللحظات الصعبة لا تزيدك إلا قوة كما أنها تُعطي معنى وجمال لكل شيء عادي من حولنا، لأن الإنسان لا يرى نعمة ربه عليه إلا عندما يُحرم منها، وهكذا تزيدك الأزمات إستمتاعاً بحياتك وتقديرك لنعمة ربك عليك، فلا تنظر لها من نصف الكوب الفارغ ولكن انظر للنصف المملوء، ولا تجلس تنتظر فإن ترقب شيء أصعب من معرفة النتيجة.

وَأَفْنِ عِدَايَ وَاقْرُنْ نَجْـمَ حَظِّيْ ❋ بِسَعْـدِ مَالِطَـالِعِهِ غُـرُوْبُ

الانتصار على الشهوة عدة ثمرات في الدنيا والآخرة ، منها: سلامة القلب، علو النفس والالتحاق بالملأ الأعلى، النجاة من عذاب الله، ودخول الجنة، كمال الإيمان ولذة الأنس بالله والشوق إليه. كي تكون من المفلحين أي الفائزين في الدنيا والآخرة، ومن حصل له ذلك، فقد أدرك كل مطلوب، ونُجّي من كل مرهوب، حتى لايشعر بالظلم ولا الغروب أبديا.

وَأَلْـهِمْنِيْ لِذِكْرِكَ طُـوْلَ عُـمْرِيْ ❋ فَإِنَّ بِذِكْـتترِكَ الـدُّنْيَا تَطِيْبُ

إن لذكر الله عند القلوب المؤمنة وقعا خاصا لا يعادله شيء في الدنيا أبدا، بل هو غاية مراد المريدين وخلاصة ما يصبوا له المحبون، وهو حقيقة وجود العارفين ، فإنه به وحده تطمئن القلوب، وبذكر الله وحده ترتاح الأرواح من همّ

الدنيا وغمها وكل ما فيها من مشاكل ومنغصات ونواقص ومحوجات، وبذكر الله وحده تتنفس النفوس المؤمنة الصعداء وتسموا عن كل ما في الدار الدنيا.

فتطلب الملكوت وتنظر فيه رحمة الله الشافية وفي كل شيء تراه ، وقد عرفت إن كتاب الله وكلامه شفاء وأهله يشفون به من يطلب معارفه منهم ، فأعلم أن ذكر الله أكبر، أي هو الشفاء التام.

فيا طيب، إن هدى الله شافي وفيه شفاء لما في الصدور في تعليمنا كل ما نحتاجه في كل أمورنا الصوفية والمادية والتصرف بها فيما يوصل لله تعالى من أداء حقوقه، وإن زينة الله المحللة الطيبة الطاهرة هي للمؤمنين وإن شاركهم الكفار هنا، ولكن في القيامة خالصة لهم ولم يشاركهم من تنزل عن نور الله، ومرض لم يطلب لطف الله الشافي، وإنه الله شافي في بيان تعاليمه لهدى خلقه فضلا عن وجودهم ونعمه عليهم.

وَقُــلْ عَبْدُ الــرَّحِــيْمِ وَمَــنْ يَلِيْهِ ❋ لَــهُمْ فِــيْ رِيْفِ رَأْفَتِنَا نَصِيْبُ

فإن الله رزقنا الطيبات وأدبنا بعدم الإسراف لكي لا نبتعد عن هداه الحق والذي هو شفاء ورحمة لن، وإنه حرم علينا الفواحش ظاهرا وباطنا وكل ما يبعد عن التحقق بنور رحمته الشافية من كل مانع ونقص يتحقق بالبعد عنه ، بل الله يطالبنا بشكره ليزيدنا من فضله، ولذا وهبنا نعمه التي لا تحصى لنتمكن من إقامة دينه لنزداد علوا ومجدا بفضله، والذي جعله أجرا وغير ممنون لمن آمن وعمل صالحا ولم يسرف.

فَــظَنِّي فِيْكَ يَا سَنَــدِيْ جَــمِيْلٌ ❋ وَمَرْعَــى ذَوْدِ آمَــالِيْ خَصِيْبُ

وإحسان الظن بالله لابد معه من تجنب المعاصي وإلا كان أمنًا من مكر الله، فحسن الظن بالله مع فعل الأسباب الجالبة للخير وترك الأسباب الجالبة للشر هو الرجاء المحمود، وأما حسن الظن بالله مع ترك الواجبات وفعل

المحرمات، فهو الرجاء المذموم وهو الأمن من مكر الله. فلا ينبغي للناس أن يفعلها بأن حياتهم يجري بما لزومه من الرزق، إن الله جل جلاله، خلق الخلق، وتكفل برزقهم وقوتهم، فآواهم وأعطاهم وأمدهم.

وَصَلِّ عَلَـــى النَّبِيْ وَآلِـــهِ مَـا ❁ تَـرَنَّمَ فِي الْآرَاكِ الْـــعَنْدَلِيْبُ

والله المسئول بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرحم عباده المسلمين، وأن يفقههم في الدين، وينصرهم على أعدائه وأعدائهم من الكفار والمنافقين، وأن ينزل بأسه بهم الذي لا يرد عن القوم المجرمين، بل الرسول حملنا من الظلمات إلى النور، فلا يصح واضحا إلا أن بعد الصلاة عليه، كما كان الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فيا معشر المسلمين حاسبوا أنفسكم وتوبوا إلى ربكم واستغفروه، وبادروا إلى طاعته، واحذروا معصيته، وتعاونوا على البر والتقوى، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين، وأعدوا العدة الصالحة قبل نزول الموت، وارحموا ضعفاءكم، وواسوا فقراءكم، وأكثروا من ذكر الله واستغفاره، وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر لعلكم ترحمون.

واعتبروا بما أصاب غيركم من المصائب بأسباب الذنوب والمعاصي، والله يتوب على التائبين، ويرحم المحسنين، ويحسن العاقبة للمتقين، فإذا كان الأمر كذلك فينبغي لكل داع أن يعتني بأدعية المصطفى صلى الله عليه وسلم العناية الفائقة، فإن فيها جماع الخير كله وتمامه وشموله، وكل أنواعه، من جليل المقاصد الرفيعة، وأشرف المطالب العالية، من خيري الدنيا والآخرة، وغير ذلك.